جُمْهُورِيَّةُ العِرَاقِ

دِيوَانُ الوَقْفِ الشِيْعِيّ

العَتَبَةُ العَبَّاسِيَّةُ المُقَدَّسَةُ

عَدَدٌ خَاصٌّ

عَنِ العلَّامة السيِّد عليّ ابن طاووس قدس سره

تُرَاثُ الحِلَّة

مَجلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ مُحكَّمَةٌ تُعْنَى بِالتُّرَاثِ الحِلِّيِّ

تَصْدُرُ عَنِ:

العَتَبَةُ العَبَّاسِيَّةُ المُقَدَّسَةُ

قِسْمُ شُؤُونِ المَعَارِفِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالإِنْسَانِيَّةِ

مَرْكَزُ تُرَاثِ الحِلَّة

مُعتَمَدَةٌ لأَغْرَاضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيَّة

السَّنَةُ (الثالثة)/المجلَّدُ (الثالث)/العَدَدُ (العاشر)

ربيع الثاني ١٤٤٠هـ/كانون الأوَّل ٢٠١٨م

العتبة العباسيَّة المقدَّسة. قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة. مركز تراث الحِلَّة.
تراث الحِلَّة : مجلَّة فصليَّة محكَّمة تُعنى بالتراث الحِلِّي / تصدر عن العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة قسم شؤون المعارف المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة مركز تراث الحِلَّة.- الحِلَّة/ العراق : العتبة العباسيَّة المقدَّسة، قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة، مركز تراث الحِلَّة. ١٤٣٧ هـ = ٢٠١٦-
مجلَّد : جداول، صور طبق الأصل ؛ ٢٤ سم
فصليَّة.-السنة الثالثة، المجلَّد الثالث، العدد العاشر (كانون الأوَّل ٢٠١٨)-
ردمد: 2412.9615
يتضمَّن إرجاعات ببليوجرافيَّة وكشَّافات.
النصّ باللغة العربيَّة ؛ ومستخلصات باللغة الإنجليزيَّة.
١. العلماء المسلمون (شيعة)--العراق--الحِلَّة--تراجم--دوريَّات. ٢. آل طاووس (أسرة) العراق--الحِلَّة--تراجم--دوريَّات. ٣. الحِلَّة (العراق)--تاريخ--دوريَّات. ألف. العنوان
LCC: BP192.8 .A8374 2018 VOL.3 NO. 10
مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة

موقف رضيّ الدين عليّ بن موسى ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ/١٢٦٥م) من السلطات التي عاصرها في بغداد

The Point of View of Redhi Al-Din Ali Ibn Musa Ibn Tawoos (664 AH/ 1265 AD) From the Authorities He Had Witnessed in Baghdad at That Time

د. حاكم فنيخ عليّ عودة الخفاجيّ

مركز تراث الحِلَّة

Dr. Hakim Fnaykh Ali Ouda Al-Khafaji

Hilla Heritage Center

ملخَّص البحث

درس هذا البحث- الذي ضمَّ بين دفَّتيه مبحثين ومقدِّمة، مشفوعًا بخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع- شخصيَّة فكريَّة مهمَّة تنتمي للبيت العلويّ، برزت في العراق في النصف الأوَّل من القرن السابع الهجريّ، كان لها تأثيرها بواسطة علاقاتها بالخلافة العبَّاسيَّة، فضلًا عن بيان موقفها من الغزو المغوليّ لبلاد المسلمين، وهي شخصيَّة رضيّ الدين عليّ بن موسى بن جعفر ابن طاووس الحِلِّيّ (٥٨٩-٦٦٤هـ) الذي عاش عهدين مميَّزين، أوَّلهما نهاية عهد الخلافة العبَّاسيَّة، وثانيهما بداية عهد المغول الإيلخانيِّين الذين بدأ حكمهم للعراق سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، وإن قضى معظم حياته في المدَّة المتأخِّرة للخلافة العبَّاسيَّة، فقد تناولت الدراسة سيرة السيِّد رضيّ الدين وحياته وما قيل فيه وأبرز مؤلَّفاته، فضلًا عن تسليط الضوء على علاقته بالخلافة ومقاومته للضغوط التي مورست عليه لقبول المناصب الدنيويَّة، سيما في عهد الخليفة المستنصر بالله العبَّاسيّ.

وبحثت الدراسة موقفه من الاحتلال المغوليّ لبغداد ولقائه بالخان هولاكو بعد دعوة مباشرة من الأخير، فضلًا عن جوابه لاستفتاء الحاكم المغوليّ أيُّهما أفضل الحاكم المسلم الجائر أم الحاكم الكافر العادل؟.

Abstract

This study, contains two sections research ,introduction, also is accompanied by a conclusion and a list of sources. In the introduction, an important personal intellectual study of the "Alawian house" which emerged in Iraq during the first half of the seventh century AH. Its influence, and the relationship with the Abbasid caliphate, as well as his position on the Mongol invasion of the Muslim countries, the most important personality is Redhi al-Din Ali bin Musa bin Jaafar ibn Tawoos al-Hilli (589-664), who lived two distinct eras, the first of which was the end of the Abbasid caliphate, and the second of the beginning of the reign of the Illeghanians Mongols who began their rule in Iraq in 656 AH / 1258 AD, he spent most of his life in the late period of the Abbasid Caliphate, the study dealt with the biography and life of Sayyid Redhi Adin and what was h said and most prominent of his writings, as well as shed light on his relationship to the succession and resistance to the pressures exerted on him to accept the secular positions offered to him, especially during

the reign of Caliph al –Abasi Al-Mustanser Billah.

The study also examined his position on the Mongols occupation of Baghdad and his meeting with Khan Hulaku after a direct invitation from the latter, as well as his answer to the referendum of the Mongol ruler, which ruler is better, the unjust Muslim ruler or the just kaafir ruler?.

مقدِّمة البحث

الحمد لله ربِّ العالمين، الواسع العليم الوارث الحكيم، وأفضل الصلاة وأتمُّ التسليم على سيِّد الأولين والآخرين، نبينا الأعظم محمَّدﷺ مدينة العلم وخير أنبياء أولي العزم، وعلى آله الطيِّبين الطاهرين، وبعد...

نكتب عن شخصيَّة علميَّة تركت أثرًا طيِّبًا، وكانت تلك الشخصيَّة عالمًا وفقيهًا شهد له العدو قبل الصديق؛ لِما أنماز به من علميَّة واعتدال تركت أثرًا طيِّبًا في قلوب المؤمنين وأفكارهم، وإن رحل عن الدنيا منذ مئات السنين، فأعماله وسيرته وما تركه بقي حيًّا ما بقيت الدهور والأزمان، فالشخصيَّة تلك هو السيِّد رضيّ الدين عليّ بن موسى ابن طاووسرحمه الله (ت ٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م) الذي وُصِف بأنَّه أحد أكابر علماء الإسلام في العصور العبَّاسيَّة المتأخِّرة، ولا نجانب الحقَّ إذا قلنا بأنَّه كان جمال السالكين، وقدوة العارفين، صاحب الكرامات والمقامات السلميَّة، فهو أحد أركان بيت آل طاووس الذي يُعدُّ من البيوتات العلميَّة البارزة التي أسهمت بجهدها الواسع الثَّرِّ في حقول المعرفة المختلفة، فزوَّدت الثقافة العربيَّة الإسلاميَّة بنتاجِ عقول أبنائها، وهي إسهامات جليلة القدر، عظيمة الإفادة، في العصور العبَّاسيَّة المتأخِّرة، وتخطَّتها إلى عهد الإيلخانيِّين.

فعمليَّة اختيار شخصيَّة رضيّ الدين ليكون موضوع دراستي، وبيان علاقته بالخلافة العبَّاسيَّة، وموقفه من الاحتلال المغوليّ لبغداد فقط، بعيدًا عن الجوانب العلميَّة

والفقهيَّة التي أخذت مجالها الواسع لدى المختصِّين، ما هو إلَّا ردٌّ جزءٍ بسيطٍ لما قدَّمه من خدمات جليلة وتضحيات سخيَّة خدمةً للدين والمذهب، ومواقف بطوليَّة بقيت خالدة على مرِّ العصور، وستبقى خالدة إلى قيام الساعة.

قسَّمتُ الدراسة المعنونة (موقف رضيّ الدين عليّ بن موسى ابن طاووس من السلطات التي عاصرها في بغداد) إلى مبحثين، تناول الأوَّل منه والموسوم بـ(السيِّد رضيّ الدين عليّ بن موسى ابن طاووس (٥٨٩-٦٦٤هـ/ ١١٩٣-١٢٦٥م)) نبذة من حياته وسيرته العلميَّة.

فيما تناول المبحث الثاني علاقة ابن طاووس بمؤسَّسة الحكم، وفيه تمَّ تسليط الضوء على علاقة السيِّد رضيّ الدين ابن طاووس بمن عاصرهم من خلفاء الخلافة العبَّاسيَّة ولاسيما الخليفة المستنصر بالله (٦٢٣-٦٤٠هـ)، وبيان مقاومته لمحاولات أسناد المناصب إليه من قِبَل الخليفة المستنصر بالله، فضلًا عن موقفه من الاحتلال المغوليّ للعاصمة بغداد.

المبحث الأوَّل

السيِّد رضي الدين عليّ بن موسى ابن طاووس
(٥٨٩-٦٦٤هـ/١١٩٣-١٢٦٥م)

أوَّلًا: نبذة مختصرة عن أسرة آل طاووس

قبل الولوج في دراسة موقف ابن طاووس من مؤسَّسة الخلافة العبَّاسيَّة والاحتلال المغوليّ لعاصمة الخلافة العبَّاسيَّة عام (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، لا بُدَّ من إعطاء نبذةٍ مختصرةٍ عن أسرة آل طاووس التي وصفها كتَّاب التراجم والمهتمِّين بالشأن التاريخيّ بأنَّها أسرة علميَّة علويَّة جليلة عريقة، وواحدة من أشهر البيوت المعروفة والكبيرة في مدينة الحِلَّة مدينة العلم والعلماء التي كانت تُعدُّ من الحواضر العلميَّة المشهورة في البلاد الإسلاميَّة، والتي قصدها طلَّاب العلم والمعرفة لنيل المعارف والعلوم العقليَّة والنقليَّة منها على حدٍّ سواء، والتعرُّف على مختلف الجوانب العلميَّة التي رفدت دور العلم والدرس بكثير من المصنَّفات والحلقات العلميَّة، الأمر الذي جعلها تتفوَّق بها على كثير من مدن العالم، ساعدها بذلك الاستقرار السياسيّ الذي شهدته، فضلًا عن قربها من مراكز الدين والعلم بغداد والنجف، إذ جعلت منها قِبلة لطلَّاب العلوم الذين شدُّوا إليها الرِّحال من كلِّ حدبٍ وصوبٍ؛ للنهل من علمائها وأدبائها صنوف العلم والمعرفة، ناهيك عن وجود المكتبات الكبرى المليئة بمختلف أنواع الكتب والدراسات والرسائل العلميَّة التي كانت تعجُّ بها، حتَّى برز فيها جملة من العلماء الأعلام الذين أصبحوا محطَّ

أنظار العالم الإسلاميّ، بما صنَّفوه في شتَّى العلوم والمعارف، حتَّى ضاقت بمؤلَّفاتهم دور الكتب وخزائن المخطوطات والمكتبات سيما في القرون السادس والسابع والثامن الهجريَّة[١].

ومن بين العلماء الذين ترعرعوا في مدينة الحِلَّة أبناء أسرة آل طاووس التي تولَّى عدد من أفرادها شؤون الزعامة الروحيَّة أواخر عصر الدولة العبَّاسيَّة، ثمَّ في الدولة الإيلخانيَّة المغوليَّة (٦٥٦-٧٣٧هـ)، فضلًا عن بروز عدد منهم كعلماء وأدباء ذاع صيتهم العلميّ، فكان لها (أسرة آل طاووس) أثر واضح في الجانب الفكريّ، إذ قدَّمت للمجتمع الإسلاميّ عددًا من رجال الفكر والعقيدة[٢].

ناهيك عمَّا تقدَّم، فهي من الأسر الحسنيَّة المعروفة التي ينتهي نسبها إلى الإمام الحسن المجتبى ابن الإمام عليّ بن أبي طالب عليهما السلام عن طريق السيِّد أبي عبد الله محمَّد بن إسحاق بن الحسن بن محمَّد بن سليمان بن داود بن الحسن المثنَّى بن الإمام الحسن الزكيّ ابن الإمام عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، وقد جاء لقب آل طاووس من جدِّ الأسرة السيِّد أبي عبد الله محمَّد المعروف بالطاووس، والذي وصِف بأنَّه كان مليح الصورة جميلًا صبيح الوجه، وقدماه مستدقَّة كأرجل الطاووس، غير مناسبة لحسن صورته، فلُقِّب بالطاووس[٣]، وهناك من يقول إنَّه لقِّب بهذا اللقب؛ لأنَّه كان جميلًا كالطاووس، وهذا الرأي أقرب للصواب[٤].

تولَّى عدد من رجال آل طاووس إمارة الحجِّ، إذ أصبحت هذه الإمارة بيد آل طاووس في العهد المغوليّ الإيلخانيّ في العراق، فضلًا عن هذا كان لهذه الأسرة دور كبير في ما يتعلَّق بسلامة الحِلَّة والمشهدَين الشريفَين العلويّ والحسينيّ من الغزو المغوليّ[٥]، بعد احتلالهم بغداد سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)[٦]، بقيادة زعيمهم هولاكو خان[٧].

ثانيًا: سيرته العلميَّة

هو جمال العارفين الفقيه العابد السيِّد رضيّ الدين أبو القاسم السيِّد عليّ بن سعد الدين أبي إبراهيم موسى بن جعفر بن محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن أبي عبد الله محمَّد الطاووس[٨]، كان واحدًا من علماء الحِلَّة البارزين الثقات، فقد وصِف بأنَّه: «من إجلَّاء هذه الطائفة وثقاتها، جليل القدر عظيم المنزلة، كثير الحفظ نقيّ الكلام، حاله في العبادة والزهد أشهر من أن يُذكر، له كتب حسنة»[٩].

ولِد السيِّد رضيّ الدين عليّ بن موسى ابن طاووس في يوم الخميس منتصف شهر محرَّم الحرام سنة (٥٨٩هـ/ ١١٩٣م)[١٠]، في مدينة الحِلَّة[١١]، نشأ وتعلَّم في هذه المدينة تحت أشراف واعتناء جدِّه لأُمِّه الزاهد ورَّام بن أبي فراس الجاوانيّ الكرديّ (ت ٦٠٥هـ)[١٢] نسبةً إلى الأكراد الجاوانيِّين[١٣]، وهناك رأي آخر يقول إنَّه يعود إلى الصحابيّ مالك الأشتر[١٤].

تضافرت عوامل عدَّة شكَّلت بمجملها الأثر الإيجابيّ الكبير في بلورة شخصيَّة السيِّد ابن طاووس العلميَّة وصقلها وتعزيز ثقته بنفسه، منها انتسابه للشيخ ورَّام من جهة والدته، والذي حصل على أكثر كتبه حينما انتقلت إليه عن طريقها...[١٥]، وكذلك تعلَّم الخطَّ والعربيَّة وقرأ علوم الشريعة المحمَّديَّة ودرس أصول الدين، وكان متفوِّقًا في دراسته حتَّى فاق أقرانه بذكائه، إذ تفوَّق عليهم جميعًا[١٦]، وفي هذا الصدد يقول ابن طاووس: «وابتدأت بحفظ الجمل والعقود... وكان الذين سبقوني ما لأحدهم إلَّا الكتاب الذي يشتغل فيه، وكان لي عدَّة كتب في الفقه من كتب جدِّي ورَّام انتقلت إليَّ من والدتي رضي الله عنها بأسباب شرعيَّة في حياتها... فصرت أطالع كلَّ شيء يقرأ فيه الجماعة الذين تقدَّموني بالسنين، وأنظر كلَّ ما قاله مصنَّف عندي وأعرف ما بينهم

مـن خلاف على عادة المصنِّفين، وإذا حضرت مـع التلامذة بالنهار أعرف ما لا يعرفون وأناظرهم»[١٧].

فضـلًا عن ذلك ولادته في مدينة الحِلَّة- كما اسـلفنا- التي كانـت في بداية ازدهار حركتهـا العلميَّة، فكان لهـذا الجو العلميّ الـذي تربَّى وترعرع فيه أثـر بالغ في حياته، والـذي عدَّه بمثابة الحجر الأسـاس فيما وصـل إليه من مراتب سـامية في دنيا المعارف الإسـلاميَّة، أضـف إلى ذلك مـا كانت تتمتَّع بـه أسرته من رصيدٍ علمـيٍّ، انعكس فيما بعد على سـلوكه ونشـأته العلميَّة الشريفة، فأقبـل على طلب العلم، وبذل فيه وسـعى إليـه بخطًى حثيثة، واشـتغل بالفقه وقرأ فيه وفي أُصول الديـن كتبًا كثيرة، وكان متعدِّد المواهب، جمع وصنَّف كتبًا كثيرة، إذ برع فيها حتَّى فاق أقرانه[١٨].

فهـو يقـول: «فأنا عتيق ذلك المالك الرحيم الشـفيق، وذاك أن أوَّل ما نشـأت بين جـدِّي ورَّام ووالدي (قـدَّس الله أرواحهم وكمَّل فلاحهـم)، وكانوا دعاة إلى الله ﷻ، وطالبين له ﷻ، فألهمني الله ﷻ سـلوك سـبيلهم واتِّباع دليلهم، وكنت عزيزًا عليهم، ومـا أحوجني الله ﷻ بإحسـانه إليَّ وإليهـم ما جرت عليه عادة الصبيـان من تأديبٍ لي منهم أو من أستاذٍ بسببٍ من أسباب الهوان»[١٩].

كان كثير الأسفار زاهدًا في حياته، فقد سافر إلى بغداد وسكنها لفترات متفرِّقة، ولم تحدَّد سـنة سـفره بالضبط، وأغلب الظنِّ أنَّها حدثت حدود سـنة (٦٢٥هـ/ ١٢٢٩م)، وأثنـاء مدَّة مكوثه في بغداد والبالغة ما يقـارب (١٥) عامًا، تزوج فيها (زهراء خاتون) بنت الوزير ناصر بن مهدي (رضوان الله عليه)[٢٠]، وفي المدَّة التي قضاها في بغداد مارس تدريس العلـوم المختلفة، فضلًا عن ذلك حضي بمكانة علميَّـة واجتماعيَّة مرموقة على صعيـد علاقاته بالمجتمـع العلميّ المتمثِّل حينـذاك بعلماء المدرسـة النظاميَّة ومناظراته

معهـم معروفة، وصلاته الوثقى بالوزير القمِّيّ وولده[٢١]، والوزير ابن العلقميّ وأخيه وولده صاحب المخزن[٢٢].

أو على مستوى صلاته بالنظام القائم على الرغم من عدم اشتغاله بالشأن السياسيّ في تلك المدَّة[٢٣].

عاد بعد ذلك إلى مسـقط رأسـه الحِلَّة وبقي فيها مدَّة من الزمن، وانتقل بعدها إلى النجـف الأشرف، فبقـي فيها ثلاثة أعوام، ثمَّ عاد بعدها إلى كربـلاء، إذ أقام فيها ثلاثة أعوام أيضًا، وكان مهتمًّا بالسـير والسلوك وكسـب المعنويَّات، فضلًا عن إعداد طلَّاب العلم وتربيتهم وفق مبادئ أهل البيت عليهم السلام، وأثناء إقامته في كربلاء ألَّف كتاب (كشف المحجَّـة إلى ثمرة المهجة)، ثمَّ رجع إلى بغداد سـنة (٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م)، وأقام فيها إلى حين قدوم هولاكو على رأس المغول، واحتلالهم لها سـنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)[٢٤]، ثمَّ تولَّى السيِّد ابن طاووس نقابة الطالبيِّين[٢٥] سنة (٦٦١هـ/ ١٢٦٢م)، واستمرَّت ولايته للنقابـة إلى حين وفاته سـنة (٦٦٤هـ/ ١٢٦٥)، وكانت مدَّتهـا ثلاثة أعوام وأحد عشر شهرًا[٢٦].

أشهر أساتذته

تتلمذ السـيِّد ابن طاووس على يد جدِّه الشيخ ورَّام بن أبي فراس، وعلى أبيه السيِّد موسـى بن جعفر، وفضلًا عن جـدِّه ووالده، هناك مجموعة من العلـماء والأدباء الذين تتلمذ عليهم، وهؤلاء كان لهم الباع الطويل في العلوم العربيَّة والإسلاميَّة، ولهم المكانة العلميَّة المرموقة في تلك المدَّة، ومنهم:

١. الشيخ أسعد بن عبد القاهر الأصفهانيّ (ت ٦٣٥هـ).

٢. بدر بن يعقوب المقرئ الأعجميّ (ت ٦٤٠هـ).

٣. تاج الدين الحسن بن عليّ الدربيّ (ت ق٧هـ).

٤. الحسين بن أحمد السوراويّ (حيًّا سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م).

٥. سديد الدين سالم بن محفوظ بن عزيزة السوراويّ (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

٦. السيِّد شمس الدين فخار بن معد الموسويّ (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

٧. السيِّد كمال الدين حيدر بن محمَّد بن زيد بن محمَّد بن عبد الله الحسنيّ.

٨. السيِّد صفيّ الدين محمَّد بن معد الموسويّ (ت ٦٢٠هـ).

٩. السيِّد أبو حامد محيي الدين محمَّد بن عبد الله بن زهرة الحسينيّ الحلبيّ.

١٠. أبو عبد الله محبّ الدين محمَّد بن محمود المعروف بابن النجَّار البغداديّ (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م).

١١. الشيخ محمَّد بن نما الحِلِّيّ (ت ٦٤٥هـ).

١٢. نجيب الدين محمَّد السوراويّ.

١٣. الشريف أبو إبراهيم موسى بن جعفر بن محمَّد بن أحمد بن الطاووس (ق٧هـ)، (والده)[٢٧].

تلامذته والرَّاوون عنه

١. إبراهيم بن محمَّد بن أحمد بن صالح.

٢. أحمد بن محمَّد العلويّ.

٣. جعفر بن محمَّد بن أحمد بن صالح القسِّينيّ.

٤. جعفر بن نما الحِلِّيّ (ت٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م).

٥. جمال الدين يوسف بن حاتم الشاميّ.

٦. الحسن بن داوود الحِلِّيّ (حيًّا سنة ٧٤١هـ).

٧. يوسف بن عليّ ابن المطهَّر (حيًّا سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)، (والد العلَّامة الحِلِّيّ)[٢٨].

٨. الإمام الحسن بن يوسف ابن المطهَّر الحِلِّيّ الشهير بالعلَّامة الحِلِّيّ (ت٧٢٦هـ).

٩. السيِّد عبد الكريم بن أحمد ابن طاووس (٦٤٨-٦٩٣هـ/ ١٢٥٠-١٢٩٣م)، (ابن أخيه).

١٠. السيِّد عليّ بن عليّ ابن طاووس (ولده)، ويشترك مع أبيه في الاسم والكنية واللقب.

١١. علي بن عيسى الأربلِّيّ.

١٢. محمَّد بن أحمد بن صالح القسِّينيّ.

١٣. علي بن محمَّد بن أحمد بن صالح القسِّينيّ.

١٤. محمَّد بن بشير.

١٥. السيِّد محمَّد بن عليّ ابن طاووس، ولد المترجَم له.

أقوال العلماء فيه

إنَّ السيرة الحميدة والفضل الباهر لابن طاووس وما امتاز به من سعةِ علمٍ وتفقُّهٍ في الدين وتقوى دفعت كثير من كبار العلماء والفقهاء بالثناء عليه، نوجز منهم:

العلَّامة الحِلِّيّ الذي وصفه في كتابه (منهاج الصلاح) قائلًا: «السيِّد رضيّ الدين عليّ بن موسى ابن طاووس، كان أعبد من رأيناه من أهل زمانه»[٢٩].

كما ذكر في إجازته الكبيرة عنه: «كان رضيّ الدّين عليّ، صاحب كرامات، حكى لي بعضها، وروى لي والدي عنه البعض الآخر»[٣٠].

وذكره **ابن عنبة** بالقول: «رضيّ الدين أبو القاسم عليّ السيِّد الزاهد، صاحب

الكرامات، نقيب النقباء بالعراق».

وأثنى عليه **العلَّامة المجلسيّ** (ت ١١١١هـ) قائلًا: «السيِّد النقيب، الثقة الزاهد، جمال العارفين»[٣١].

ووصفه **الحرُّ العاملي** (ت ١١٠٤هـ) قائلًا: «هو من أجلَّاء هذه الطائفة وثقاتها، جليل القدر، عظيم المنزلة، كثير الحفظ، نقيّ الكلام، حاله في العبادة والزهد أشهر من أن يُذكَر، له كتب حسنة، وكان أيضًا شاعرًا أديبًا منشئًا بليغًا»[٣٢].

ومدحه **الشيخ عبَّاس القمِّيّ** قائلًا: «السيِّد الأجلِّ الأورع الأزهد، قدوة العارفين الذي ما اتَّفقت كلمة الأصحاب على اختلاف مشاربهم وطريقتهم على صدور الكرامات عن أحد ممَّن تقدَّمه أو تأخَّر عنه غيره، مؤلَّفاته مشهورة لا تحتاج إلى الإشارة إليها»[٣٣].

وأسهب في مدحه **الشيخ أسد الله التستريّ** في المقاييس قائلًا: «السيِّد السند، المعظَّم المعتمد، العالم، العابد، الزاهد، الطيِّب الطاهر، مالك أزمة المناقب والمفاخر، صاحب الدعوات والمقامات والمكاشفات والكرامات، مظهر الفيض السَّنِيّ، واللطف الجَليّ، أبي القاسم رضيِّ الدين»[٣٤].

وقال عنه خاتمة المحدِّثين **الشيخ الميرزا النوريّ** ما نصُّه: «السيِّد الأجلِّ الأكمل الأسعد الأروع الأزهد صاحب الكرامات الباهرة رضيّ الدين أبو القاسم وأبو الحسن عليّ بن سعد الدين موسى بن جعفر آل طاووس، الذي ما اتَّفقت كلمة الأصحاب على اختلاف مشاربهم وطريقتهم على صدور الكرامات عن أحد ممَّن تقدَّمه أو تأخَّر عنه»[٣٥].

وكثيرٌ غيرهم ممَّن اثنَوا عليه.

من مؤلَّفاته

ترك السيِّد ابن طاووس ثروة علميَّة ومجموعة قيِّمة من المؤلَّفات والكتب المهمَّة في شتَّى العلوم الدينيَّة والفقهيَّة والأدبيَّة والتاريخيَّة تناهز الستين كتابًا، بعضها حفظ لنا جملة وافرة من أدعية المعصومين عليهم السلام، وتنوَّعت مؤلَّفاته بين التفسير والأنساب والأدعية والطبِّ والنجوم، ونذكر منها:

١. الإبانة في معرفة أسماء كتب الخزانة.

٢. الإجازات لكشف طرق المفازات.

٣. إغاثة الداعي وإعانة الساعي.

٤. الأمان من أخطار الأسفار والأزمان.

٥. الأنوار الباهرة.

٦. اليقين في إمرة أمير المؤمنين عليه السلام.

٧. التحصين في أسرار ما زاد على كتاب اليقين.

٨. التراجم فيما نذكره عن الحاكم.

٩. الاصطفاء في تواريخ الخلفاء.

١٠. الدروع الواقية.

١١. ربيع الألباب.

١٢. روح الأسرار.

١٣. سعد السعود.

١٤. كتاب الطُرَف، وهو في الأخبار.

١٥. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف.

١٦. غياث سلطان الورى لسكَّان الثرى.

١٧. فتح الجواب الباهر.

١٨. المجتبى.

١٩. محاسبة النفس.

٢٠. مسلك المحتاج إلى مناسك الحاج.

٢١. مصباح الزائر وجناح المسافر.

٢٢. مضمار السبق في ميدان الصدق.

٢٣. الملاحم والفتن.

٢٤. الملهوف على قتلى الطفوف.

٢٥. مهج الدعوات ومنهج العنايات.

٢٦. المواسعة والمضايقة.

٢٧. فلاح السائل[٣٦].

إنَّ هذه المصنَّفات والمؤلَّفات المذكورة أعلاه هي غيضٌ من فيضٍ، وهي لا تمثِّل كلَّ مؤلَّفاته، إذ ذكرَ في هذا الصدد أنَّ هناك مختصرات ورسائل لا تخطر بباله قائلًا: «وجمعت وصنَّفت مختصرات كثيرة ما هي الآن على خاطري وإنشاءات من المكاتبات والرسائل والخطب ما لو جمعته أو جمعه غيري كان عدَّة مجلَّدات، ومذكِّرات في المجالس في جواب المسائل بجوابات وإشارات وبمواعظ شافيات ما لو صنَّفه سامعوها كانت ما يعلمه الله جل جلاله من مجلَّدات»[٣٧].

المبحث الثاني

علاقة ابن طاووس بمؤسَّسة الحكم

أوَّلًا: علاقته بمؤسَّسة الحكم العبَّاسيَّة

بعد نجاح الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/ ١١٨٠-١٢٢٥م)[٣٨] في تحقيق أغراضه وأهدافه السياسيَّة التي كان يعمل من أجلها، وأهمُّها التخلُّص من الحكم السلجوقيّ واستعادة هيبة الخلافة واستقلالها، ممهِّدًا الطريق أمام الخليفة الذي خلفه المستنصر بالله (٦٢٣-٦٤٠هـ/ ١٢٢٦-١٢٤٢م)[٣٩]، الذي تسنَّم سدَّة الحكم في وقت أصبحت فيه البلاد في حالة استقرارٍ سياسيّ واقتصاديّ وثقافيّ، انعكست آثاره على باقي المدن، ومنها مدينة الحِلَّة التي برزت فيها شخصيَّات علميَّة وفكريَّة على مسرح الحوادث السياسيَّة، كان لها بالغ الأثر في توثيق العلاقة مع الخلافة العبَّاسيَّة وتقويتها، وهذا بالتأكيد انعكس بصورة إيجابيَّة على المدينة.

ومن الشخصيات البارزة العلَّامة رضيّ الدين عليّ ابن طاووس الذي كانت علاقته بالخلافة العبَّاسيَّة جيِّدة سيما وأنَّه عاصر أربعة من الخلفاء العبَّاسيّين هم: الخليفة الناصر لدين الله، والخليفة الظاهر بأمر الله (٦٢٢-٦٢٣هـ/ ١٢٢٥-١٢٢٦م)، والخليفة المستنصر بالله (٦٢٣-٦٤٠هـ/ ١٢٢٦-١٢٤٢م)، والخليفة المستعصم بالله (٦٤٠-٦٥٦هـ/ ١٢٤٢-١٢٥٨م)، وكانت علاقته مميَّزة مع الخليفة المستنصر بالله، وهو ما نستشفُّه في ضوء الثناء الذي أثناه السيِّد على الخليفة، ومن أجل تعزيز سلطته

قيام الأخير بعرض مناصب عدَّة على السيِّد ابن طاووس مستغلًّا تلك العلاقة، ومن تلك المناصب: أن يكون رسولًا بينه وبين الملوك والسلاطين، لكنَّ رضيّ الدين لم يقبل بذلك التكليف بالرغم من العلاقة الطيِّبة التي كانت تجمعه مع الخليفة العبَّاسيّ- كما أسلفنا- وقد أكَّدت الباحثة ورقاء يونس الطائيّ أنَّ رضيّ الدين كان على علاقة متينة وطيدة مع الخليفة المستنصر بالله، والتي كان من أبرز مظاهرها إنعام الخليفة عليه بدار يسكن فيها عند المأمونيَّة في الدرب المعروف «بدرب الجوبة»[٤٠]، التي وصفها صاحب كتاب بغداد قديمًا وحديثًا قائلًا: «بأنَّها فضاء أملس سهل بين أرضين، يقع في الجهة الشرقيَّة من محلَّة المهديَّة ممَّا يلي محلَّة قرَّة شعبان وفضونة»[٤١]، ثمَّ أصبحت من أملاكه الخاصَّة، وبلغت العلاقة مبلغًا كبيرًا، إذ قصده أصحاب الحاجات للتوسُّط بينهم وبين الخليفة المستنصر؛ لسدِّ حاجاتهم وتخفيف عَوزِهم[٤٢].

وذكر الباحث محمَّد حسن آل ياسين، قائلًا: «بلغت ثقة الخليفة العبَّاسيّ بابن طاووس حدًّا دفعه إلى مفاتحته صراحةً في مسألة تسليم الوزارة له بعد محاولاته السابقة بتسليمه منصب الإفتاء ونقابة الطالبيِّين»[٤٣].

ويوضِّح ابن طاووس بعضًا من تلك العلاقة الطيِّبة التي جمعت ووطدت التواصل بينهما في كتابه الموسوم بـ(كشف المحجَّة لثمرة المهجة)» قائلًا: «طلبني الخليفة المستنصر بالله- جزاه الله عنَّا خير الجزاء- للفتوى على عادة الخلفاء، فلمَّا وصلت إلى باب الدخول إلى من استدعاني لهذا الحال تضرَّعت إلى الله ﷻ وسألته أن يستودع منِّي ديني وكلَّ ما وهبني، ويحفظ عليّ كلَّ ما يقرِّبني من مراضيه... فحضرت، فاجتهد بكلِّ جهد بلغ توصله إليه أنَّني أدخل في فتواهم، فقوَّاني الله ﷻ على مخالفتهم والتهوين بنفسي وما أملكه في طلب رضاء الله ﷻ بالامتناع منهم والإعراض عنهم»[٤٤].

وبعد رفضه لمنصب الإفتاء حاول الوشاة إفساد علاقته بالمستنصر، إذ يقول بهذا الصدد: «وجرت عقيب ذلك أهوال من السعايات، فكفاني الله ﷻ بفضله وزادني من العنايات»(٤٥).

وعلى العموم، فإنَّ المكانة المرموقة التي نالها السيِّد ابن طاووس وحسن الظنِّ والثقة به وبعلمه وقابليَّته، لم تكن مقتصرةً على الخليفة وحده، بل امتدَّت إلى علماء عصره وفضلائهم الذين عرضوا عليه منصب الإفتاء؛ نتيجةً للثقة منهم بعلمه الغزير، وتفقُّهه بالدين، ناهيك عن وَرَعِه وتقواه، وإلى هذا أشار بقوله: «وأراد بعض شيوخي أن أدرِّس وأعلِّم الناس وأُفتيهم وأسلك سبيل الرؤساء المتقدِّمين، فوجدت الله ﷻ يقول في القرآن الشريف: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾(٤٦)، فرأيت أن هذا تهديد من ربِّ العالمين... فكرهت وخفت من الدخول في الفتوى؛ حذرًا من أن يكون فيها تقوُّل عليه وطلب رئاسة لا أريد بها التقرُّب إليه فاعتزلت»(٤٧).

وفي موضع أخر برَّر ابن طاووس رفضه قبول منصب الإفتاء قائلًا: «إنَّني قد وجدتُ عقلي يريد صلاحي بالكليَّة، ونفسي وهواي والشيطان يريدون هلاكي بالاشتغال بالأمور الدنيويَّة، وأنا قد دخلت بين عقلي ونفسي والشيطان وهواي، على أن أحكم بينهم بمجرَّد العدل ويتَّفقون كلُّهم مع العقل، فلم يوافقوا على الدوام على صواب هذه الأحكام»(٤٨)، وأضاف مسترسلًا في الكلام: «إنَّه لا يجوز أن يكون تبعًا لهم على الهلاك والجهل، وما تهيَّأ في عمر طويل أن أحكم بين هذين الخصمين، وأصالح بينهم مصالحة تقرُّ بها العين، وتنقطع معهم المنازعات والمخالفات، فمن عرف من نفسه الضعف عن حكومة واحدة مدَّة من الأوقات، كيف يُقدم على الدخول فيما لا يحصى من الحكومات؟!»(٤٩).

واستمرَّ يقول: «انظروا من اتَّفق عقله ونفسه وطبعه وهواه وقوي على الشيطان، وصار كلُّهم يدًا واحدة في طلب طاعة الله ورضاه، وتفرَّغ من مهمَّاته المتعيِّنة عليه فتحاكموا عنده، فإنَّه يكون قادرًا بتلك القدرة على فصل الحكومات والمصالحات إذا حضر الخصومة بين يديه»(٥٠).

ومن المناصب التي عرضها الخليفة العبَّاسيّ- سالف الذكر- على السيِّد رضيّ الدين- لأكثر من مرَّة- نقابة الطالبيِّين، وفي إحداها أستعان المستنصر العبَّاسيّ بالوزير القمِّيّ(٥١)، لعرض الموضوع على السيِّد، حتَّى وصل الأمر بالوزير أن طلب منه الموافقة على نقابة الطالبيِّين والعمل فيها بما يرضي الله، وبعد فشل محاولات القمِّيّ- ولسنوات عدَّة- في ثني رضيّ الدين في قبوله بمنصب نقابة الطالبيِّين، فدفع الخليفة إلى الاستعانة برجال البلاط العبَّاسيّ من الذين تربطهم علاقة جيِّدة به(٥٢)، لكن ابن طاووس بقي متمسِّكًا برأية ولعدَّة أعوام، وهو عدم القبول بأيِّ منصب، ومقاومة كلِّ الضغوط حتَّى وصل الأمر التلويح بالتهديد إن لم يقبل، ولكنَّه لم يرضخ للتهديد، إذ عبَّر عن ذلك بما نصه: «ثمَّ عاد الخليفة ودعاني إلى نقابة جميع الطالبيِّين على يد الوزير القمِّيّ وعلى يد غيره من أكابر دولتهم، وبقي على مطالبتي بذلك عدَّة سنين، فاعتذرت بأعذار كثيرة، فقال الوزير القمِّيّ: ادخل واعمل فيها برضا الله، فقلت له: فلأيِّ حال ما تعمل أنت في وزارتك برضاء الله تعالى، والدولة أحوج إليك منها إليَّ، فلو كان هذا يمكن كان قد عملته أنت، ثمَّ عاد يتهدَّدني، وما زال الله ﷻ يقوِّيني عليهم حتَّى أيَّدني وأسعدني»(٥٣).

استمرَّ الخليفة المستنصر بالله يكرِّر طلبة للسيِّد ابن طاووس الذي هو الآخر استمرَّ برفضه كلَّ المناصب المعروضة عليه، إذ جدَّد محاولاته بإقناعه بقبول منصب نقيب الطالبيِّين مرَّة أخرى، وفي هذه المرَّة استعان بصديق مقرَّب ومخلص للسيِّد؛ لأقناعه بالقبول، إذ قام بعرض الموضوع عليه مستخدمًا طرق ملتوية لإقناع السيِّد بالمنصب،

وجرت بين الاثنين محاورة دلَّت على قدرة بالغة ومحاججة قلَّ نظيرها في الاعتذار تشهد لابن طاووس بعلوِّ كعبه في المحاججة والمجادلة والنقاش، كان من نتيجتها الرفض القاطع، وعدم بيع الآخرة بمناصب دنيويَّة زائلة، وكان من نتيجة الرفض قيام الشخص الوسيط بتوجيه سؤال استفزازيّ للسيِّد حاول فيه الموازنة بينه وبين الشريفَين الرضيّ والمرتضى اللذين تولَّيا نقابة الطالبيِّين حين قال: «إمَّا أن تقول إنَّ الرضيّ والمرتضى كانا ظالمَين، أو تعذرهما فتدخل في مثل ما دخلا فيه. فكان جواب السيِّد ينمُّ عن بُعد نظر وفهم عميق للموقف، إذ قال ما نصه: أولئك كان زمانهم زمان بني بويه، والملوك شيعة، وهم مشغولون بالخلفاء، والخلفاء بهم مشغولون ، فتمَّ للرضيّ والمرتضى ما أرادوا من رضاء الله جل جلاله»(٥٤).

وقد علَّل السيِّد رضيّ الدين جوابه لولده محمَّد أنَّ هذا الجواب اقتضته التقيَّة وحسن الظنِّ بهمَّتهما الموسويَّة، وذلك من خلال قوله: «وإلَّا فإنَّني ما أعرف عذرًا صحيحًا لدخول المذكورين في تلك الأمور الدنيويَّة، فإيَّاك ثمَّ إيَّاك من موافقة أحد من الملوك على الهلاك، ولا تؤثرنَّ على الله جل جلاله مولاك ومالك دنياك وآخرتك سواه ولا تقبِّح ذِكر سلف الطاهرين بمخالفة رضاه جل جلاله، ولا تساعد على هدم ما بنوه من الشرف لك في الدنيا والدين، ولا تجعلهم يوم القيامة خصومًا ومعرِضين عنك ونافرين منك»(٥٥).

وبعد أن فشل الوزير القمِّيّ في إقناعه بالقبول بمنصب نقيب الطالبيِّين أرسل ولده في محاولة أخرى وإن كانت تختلف بعض الشيء عن المحاولات السابقة، وهي الطلب منه أن يكون نديمًا لوالده في البداية، وهي محاولة لاستدراجه لقبول أحد المناصب التي رفضها مسبقًا، وكالعادة كان ردُّ السيِّد رفض العرض الجديد، معلِّلًا ذلك: «بأنَّه يُفضي إلى هلاكي باشتغالي بالأمور الدنيويَّة، فاجتهدت بكلِّ حيلة ذكرتها، وهو يراجعني،

حتَّى قلت له في آخر كلمات جملتها- والكلام يعود للسيِّد-: إنَّني متى نادمتهم وما أكشف لك ولوالدك أسرارهم وأحكي لك أخبارهم، اتَّهمتموني بأنَّني أسمع فيكم منهم ما تكرهون وتصيرون أعدائي، ويؤدِّي الأمر بيني وبينكم إلى مقاطعة وإلى ما تعلمون»[٥٦].

وكالعادة قدَّم النصائح لولده بالابتعاد عن مراكز الحكم وإغراءاتها، فقال: «إيَّاك ثمَّ إيَّاك أن تدخل معهم في شيء من هذه الأمور، فلا تصحُّ والله منادمة أهل دار الغرور إلَّا بمفارقة مالك يوم النشور، وأكثر أمور أهل دار الفناء هزل مفسد، ومخرِّب لدار البقاء، وحائل بين العبد وبين مالك الأحياء، ولا تصحُّ منادمتهم بالجدِّ والسلامة من يوم القيامة، هيهات كَذَبَ والله من يقول لك إنَّ ذلك طريق من طرق السعادات»[٥٧].

وبالرغم من إصرار ابن طاووس على رفض كلِّ العروض والمناصب التي عرضها الخليفة العبَّاسيّ المستنصر بالله عليه، لكن الأخير بقيَ متمسِّكًا به وأسند إليه منصب الوزير، لكنَّه وكالعادة رفضها، وقد برَّر ابن طاووس رفضه تسنُّم منصب الوزارة في خلافة المستنصر العبَّاسيّ قائلًا: «إن كان المراد بوزارتي على عادة الوزراء يمشُّون أمورهم بكلِّ مذهب وكلِّ سبب، سواء أكان ذلك موافقًا لرضا الله ﷻ ورضا سيِّد الأنبياء والمرسلين أو مخالفًا لهما في الآراء، فإنَّك من أدخلته في الوزارة بهذه القاعدة قام بما جرت عليه العوائد الفاسدة، وإن أردت العمل في ذلك بكتاب الله ﷻ وسنَّة رسوله فهذا أمر لا يحتمله من في دارك ولا مماليكك ولا خدمك ولا حشمك ولا ملوك الأطراف، ويُقال لك إذا سلكت سبيل العدل والإنصاف والزهد: إنَّ هذا عليّ ابن طاووس علويّ حسنيّ ما أراد بهذه الأمور إلَّا أن يعرِّف أهل الدهور أنَّ الخلافة لو كانت إليهم كانوا على هذه القاعدة في السيرة، وإنَّ في ذلك ردًّا على الخلفاء من سلفك وطعنًا عليهم»[٥٨].

أجمل السيِّد ابن طاووس رفضه للمناصب والمغريات الدنيويَّة وزهده بها في وصيَّته لولده محمَّد في كتابه الموسوم بـ(كشف المحجَّة لثمرة المهجة)، إذ خاطبه قائلًا: «واعلم يا ولدي محمَّد صانك الله ﷻ عن مواقف إعراضه عنك، وزانك بترادف خلع إقباله عليك وقبوله عنك، أنَّ من جملة ما بُليت به بالمخالطة للناس معرفة الملوك بي وحبُّهم لي، حتَّى كاد أن يُفسد عليَّ سعادة الدنيا والآخرة، ويحول بيني وبين مالكي صاحب النعم الباطنة والظاهرة، وما كنت تدركني إلَّا وأنَّني لابس ثياب العار بطلب ولايات دار الاغترار، وقائدًا لك إلى الهلاك وعذاب النار، وما خلَّصني من خطر إقبال ملوك الدنيا وحبُّهم، وسلَّمني من السموم القاتلة في قربهم إلَّا الله ﷻ على التحقيق»[٥٩].

ثانيًا: موقفه من الغزو المغوليّ لبغداد

فضلًا عن دوره الفكريّ المميَّز، كان له دورٌ سياسيٌّ كبير، فبعد أن اجتاحت الموجات المغوليَّة المشرق الإسلاميّ منذ عهد جنكيزخان عام (٦١٦هـ/ ١٢١٩م)، واجتياحها لمعظم المدن الإسلاميَّة التي أخذت تتساقط أمامهم كأوراق الخريف حتَّى وصلوا إلى مشارف بغداد واحتلالها عام (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، على الرغم من كلِّ المحاولات التي قام بها الوزير ابن العلقميّ لإنقاذها من التدمير، لكن من المؤسف له أنَّ تلك المحاولات باءت بالفشل؛ بسبب انصياع الخليفة العبَّاسيّ المستعصم بالله لآراء قائد جيشه الدويدار وابن الخليفة أبي بكر اللَّذان أرسلا رسالة للخليفة جاء فيها: «فقوِّ قلبك ولا تخافنَّ تهديد المغول ووعيدهم فإنَّهم رغم كونهم أرباب دولة وأصحاب شوكة إلَّا أنَّهم لا يملكون سوى الهوس في رؤوسهم والريح في أكفِّهم، فاضطرب الوزير لعدم فهم الخليفة للموقف، وأيقن أنَّ دولة العبَّاسيِّين قاب قوسين أو أدنى من الزوال»[٦٠]، وبسبب عدم بصيرة وجهل الخليفة بقوَّة المغول، وانقياده لنزواته الشخصيَّة، وقعت

بغداد فريسة سهلة بيد المحتلِّ الجديد الذي استباحها لجنوده بكلِّ ما للكلمة من معنى، إذ كانوا يهاجمون المدن والقصبات التي تمتنع عن الاستسلام لجبروتهم، وترفض تقديم فروض الطاعة لهم، بكلِّ قوَّة وشراسة، ويقتلون معظم سكَّانها؛ لتصبح عِبرة لغيرها من المدن(٦١).

وفيما يتعلَّق بمدينة الحِلَّة التي كانت من أقرب المدن لبغداد، ومعرَّضة للاجتياح المدمِّر، بعد أن شعر أهلها بالخطر المغوليّ يهدِّد بغداد، وعدم قدرتهم على مواجهة العدوِّ، ففضَّلوا النزوح إلى البطائح مصطحبين معهم أبناءهم وما خفَّ حمله وغلى ثمنه؛ خوفًا من القوَّات الغازية، سيما بعد معرفتهم بالأعمال الوحشيَّة والانتقاميَّة التي قامت بها تلك القوات المغوليَّة في المناطق التي اجتاحتها وسيطرت عليها سابقًا(٦٢).

عمليَّة هروب الأهالي خارج المدينة لم تكن الحلَّ الأمثل لتجنيب المدينة من الدمار، فكان لا بدَّ من عمل سريع مِن قِبَل رجال الدين ومن أصحاب الرأي بعدما وصلتهم أخبار عجز الخليفة عن درء الخطر عن نفسه، وعن مركز سلطانه بغداد، وللحدِّ من الخسائر وتقليلها ما أمكن، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم وتراثهم وأفكارهم من الغزو المغوليّ، لذلك أجتمع أهل الحلِّ والعقد من العلماء وفقهاء المدينة، للتشاور فيما بينهم بإيجاد حلول ناجعة وتخليص المدينة من الدمار... وبعد شدٍّ وجذبٍ توصَّل المجتمعون إلى رأي عسى أن يجد آذانًا صاغية لدى خان المغول، وانقاذ ما يمكن إنقاذه، وهو كتابة كتابٍ إلى هولاكو يطلبون منه الأمان للحِلَّة وما والاها من المناطق، ومن ثمَّ أرسال وفدٍ لمقابلته(٦٣)، وفي هذا الصدد يقول العلَّامة الحِلِّيّ: لـمَّا وصل السلطان هولاكو إلى أطراف بغداد قبل أن يفتحها، هرب أكثر أهالي الحِلَّة إلى البطائح إلَّا القليل منهم بقي في المدينة، فكان من جملة القليل والديﷺ والسيِّد مجد الدين ابن طاووس والفقيه ابن أبي العز، اجتمع رأيهم على مكاتبة السلطان بأنَّهم مطيعون داخلون

تحت الإيليَّة، وأنفذوا به شخصًا أعجميًّا، فأنفذ السلطان إليهم فرمانًا مع شخصين، أحدهما يقال له: نكله، والآخر: علاء الدين، وقال لهما: «إن كانت قلوبكم كما وردت به كتبكم، تحضرون إلينا»، فجاء الأميران، فخافوا لعدم معرفتهم بما ينتهي الحال إليه، فقال والدي رحمه الله: إن جئت وحدي كفى؟ فقالا: نعم، فأُصعد معهما، فلمَّا حضر بين يديه- وكان ذلك قبل فتح بغداد وقبل قتل الخليفة- قال له: كيف قدمتم على مكاتبتي والحضور عندي قبل أن تعلموا بما ينتهي إليه أمري وأمر صاحبكم؟ وكيف تأمنون أن يصالحني ورحلت عنه؟ فقال والدي رحمه الله: إنَّما أقدمنا على ذلك؛ لأنَّا روينا عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنَّه قال في خطبته: «**الزوراء، وما أدراك ما الزوراء، أرض ذات أثل يشيَّد فيها البنيان، وتكثر فيها السكَّان، ويكون فيها مهادم وخزان، يتَّخذها ولدِ العبَّاس موطنًا، ولزخرفهم مسكنًا، تكون لهم دار لهوٍ ولعب، يكون بها الجور والجائر والخوف المخيف والأئمَّة الفجرة والأمراء الفسقة والوزراء الخونة، تخدمهم أبناء فارس والروم، لا يأمرون بمعروف إذا عرفوه، ولا يتناهون عن منكر إذ أنكروه، تكتفي الرجال منهم بالرجال والنساء بالنساء، فعند ذلك الغمُّ العميم والبكاء الطويل والويل والعويل لأهل الزوراء من سطوات الترك، وهم قوم صغار الحدق، وجوههم كالمجان المطوَّقة، لباسهم الحديد، جردٌ مردٌ، يقدَّمهم ملك يأتي من حيث بدأ ملكهم، جهوريّ الصوت، قويّ الصولة، عالي الهمَّة، لا يمرُّ بمدينة إلَّا فتحها، ولا تُرفع عليه رايةً إلَّا كشفها، الويل الويل لمن ناواه، فلا يزال كذلك حتَّى يظفر**»[٦٤].

وأكمل العلَّامة الحِلِّيّ كلامه: «فلمَّا وصف لنا ذلك ووجدنا الصفات فيكم رجوناك فقصدناك؛ فطيَّب قلوبهم، وكتب لهم فرمانًا لهم باسم والدي رحمه الله يطيِّب فيه قلوب أهل الحِلَّة وأعمالها»[٦٥].

وفي السياق ذاته هناك رواية أخرى تتحدَّث عن وفدٍ ثاني التقى بخان المغول

هولاكو من مدينة الحِلَّة بعد أن اطمأنُّوا على سلامتهم، وبناءً على هذه الرواية أُرسل وفد برئاسة مجد الدين ابن طاووس، وضمَّ بمعيَّته مجموعة من وجهاء الحِلَّة، فضلًا عن بعض العلويِّين الحِلِّيّين، واثناء استقبال هولاكو للوفد قدَّم مجد الدين ابن طاووس هديَّة بسيطة، وهي عبارة عن كتاب اسمه (البشارة)، ألَّفه وأهداه إلى السلطان المغوليّ درءًا لشرِّه وأذاه عن المسلمين[٦٦]، وهذه الرواية يرويها المؤرِّخ المعروف ابن الفوطيّ في: (الحوادث الجامعة)[٦٧].

وملخَّص الرواية التي يرويها ابن الفوطيّ أنَّه في سنة ستٍّ وخمسين وستمائة سار السلطان هولاكو خان من بلاده نحو بغداد، وكان أهالي الحِلَّة والكوفة قد انتزحوا إلى البطائح بأولادهم وما قدروا عليهم من أموالهم، وحضر أكابر من العلويِّين والفقهاء مع مجد الدين ابن طاووس العلويّ إلى حضرة السلطان وسألوه حقن دمائهم، فأجاب سؤالهم وعيَّن لهم شحنة، فعادوا إلى بلادهم، وأرسلوا إلى من في البطائح من الناس يعرِّفونهم ذلك[٦٨].

ولـمَّا كانت الرواية الأولى على لسان العلَّامة الحِلِّيّ، وهو شاهد عيان وحاضر في هذه القصَّة، وكان الأمر يتعلَّق بوالده الشيخ سديد الدين ابن المطهَّر، وليس لدينا من سبب للتشكيك في إسناد كتاب (كشف اليقين) إلى العلَّامة الحِلِّيّ، والكتاب مطبوع أكثر من مرَّة، ويذكره العلَّامة في كتابه (نهج الحقِّ)، وتوجد منه نسخ مخطوطة متعدِّدة، كما توجد منه طبعات متعدِّدة، وعليه فلا سبيل للتشكيك في هذه الرواية.

كما لا سبيل للتشكيك في رواية ابن الفوطيّ، فإنَّ الشيخ كمال الدين عبد الرزاق ابن الفوطيّ عاصر حادثة سقوط بغداد؛ لأنَّه عاش للمدَّة (٦٤٦-٧٠٠هـ/ ١٢٤٨-١٣٠٢م) ناهيك عن ذلك، فهو راوٍ ثقة، وليس من سبيل للتشكيك في صحَّة روايته، وعليه فنحن نتصوَّر أن الحِلَّة أوفدت إلى هولاكو وفدَين، وليس وفدًا واحدًا: الوفد

الأوَّل برئاسة الشيخ سديد الدين ابن المطهَّر والد العلَّامة رحمهما الله (أو الشيخ سديد الدين وحده كما يظهر من رواية العلَّامة)، والوفد الثاني برئاسة السيِّد مجد الدين ابن طاووس صاحب كتاب (البشارة).

وقد يُشكِل بعضهم على عمل فقهاء الحِلَّة (رضوان الله عليهم) بأنَّهم تركوا الجهاد الدفاعيّ عن الإسلام وعن الخلافة وعن منطقتهم، وبأنَّه استعجال ومغامرة صادف أنَّها أصابت ونجحت وجنَّبت منطقتهم من تدمير المغول. والجواب: أنَّ هؤلاء الفقهاء الكبار يعرفون أنَّ الجهاد الدفاعيّ لا يجب مطلقًا، بل له شروط لم تكن متوفرة في العراق، فمنها إمكانه، وفائدته، ونتيجته، وقيادته الشرعيَّة.

إنَّ الذي يرى أنَّ عملهم مغامرة لا يملك يقينهم بكلام أمير المؤمنين عليه السلام وانطباقه على بغداد العبَّاسيِّين وغزاتها المغول، وقد أثبت الأحداث والوقائع أنَّ يقينهم هو الصحيح، وشكُّ غيرهم هو الظنُّ والمغامرة.

وفيما يتعلَّق بدور ابن طاووس في التصدِّي للغزو المغوليّ في أثناء توجُّههم نحو بلاد الرافدين، وطمعهم في خيراته، فقد تعود الجذور الأولى لدوره إلى أيَّام الخليفة المستنصر بالله العبَّاسيّ عند اجتياح طلائع الجيش المغوليّ لبلاد خراسان وتقدُّمهم باتِّجاه بغداد، فقد جاء على لسان ابن طاووس خوفًا منه على بيضة الإسلام، وقام بإصلاح الأمر، إذ كتب الى قائد الجيش العبَّاسيّ الأمير قشتمر وهو معسكر خارج أسوار بغداد، وقد نودي إلى الناس بالجهاد، فقال مخاطبًا القائد: «استأذن لي الخليفة وأعرض رقعتي عليه في أن يأذن لي في التدبير ويكونون حيث أقول يقولون، وحيث أسكت يسكتون، حتَّى أُصلح الحال بالكلام، فقد خيف على بيضة الإسلام، وما يعذر الله جلَّ جلاله من يترك الصلح بين الأنام»[٦٩].

وأضاف يقول وذُكِرت في المكاتبة: «إنَّني ما أسير بدرع ولا عدَّة إلَّا بعادتي من ثيابي، ولكنِّي أقصد الصلح بكلِّ ما في أيديكم الله ﷻ ولا أبخل بشيء لا بدَّ منه، وما أرجع بدون الصلح، فإنَّه ممَّا يريده الله ﷻ ويقرِّبني منه، فاعتذروا، وأرادوا غير ما أردناه»(٧٠).

وبعد رفض طلب السيِّد، جدَّد طلبه مرَّة أخرى على أمل إنقاذ البلاد والعباد من وحشيَّة المغول، سيما وأنَّ الأخبار تتوارد عن المدن والقصبات التي اجتاحتها الجيوش المغوليَّة، وما أحدثته فيها من دمار وقتل وسلب، وفي هذه المرَّة استعان بصديق، وكان أستاذ دار، وقال له: «تستأذن لي الخليفة في أن أخرج أنا وأخي الرِّضا والآوى محمَّد ابن محمَّد بن محمَّد الأعجميّ، ونأخذ معنا من يعرف لغة التتار، ونلقاهم ونحدِّثهم بما يفتح الله ﷻ علينا، ولعلَّ الله ﷻ يدفعهم بقولٍ أو فعلٍ أو حيلةٍ عن هذه الديار»(٧١). لكن مع الأسف كان ردُّ الخليفة لا يدلُّ على بُعد نظر وحصافة سياسيَّة ومعرفة بطبيعة العدوِّ الجديد، إذ قال ما نصه: «نخاف تكسرون حرمة الديوان ويعتقدون أنَّكم رسل من عندنا»(٧٢).

فكان ردُّ السيِّد في غاية النبل والتواضع، ردٌّ من شخصٍ يدرك جسامة المخاطر لو تعرَّضت بغداد للهجوم، مخاطبًا الخليفة بكلِّ ثقةٍ: «تغدو معنا ديوانيَّة ومن تختارون، ومتى ذكرناكم أو قلنا: إنَّنا عنكم، يحملون رؤوسنا إليكم، فقد أنجاكم ذلك وأنتم معذورون... ونحن إنَّما نقول: إنَّنا أولاد هذه الدعوة النبويَّة والمملكة المحمَّدية، وقد جئنا نحدِّثكم عن ملَّتنا وديننا، فإن قبلتم وإلَّا فقد أعذرنا إلى الله ﷻ وإلى رسوله ﷺ»(٧٣).

وفي خضمِّ تلك الظروف الحرجة، كان الخليفة العبَّاسيّ لا يكترث للأمر بعيدًا عن تحمُّل المسؤوليَّة مستهينًا بالعدو الذي قضم كلَّ أراضي الخلافة العبَّاسيَّة وصولًا

لأطراف بغداد، وهو ما نلمسه من جوابه لابن طاووس الذي كان يجازف بحياته من أجل درء الخطر عن بغداد وما جاورها، قائلًا: «أجلس في موضعٍ منفردٍ أشار إليه، وظاهر الحال أنَّه أنهى ذلك إلى المستنصر... ثمَّ أطال، وطلبني في الموضع المنفرد وقال ما معناه: إذا دعت الحاجة إلى مثل هذا أذنَّا لكم؛ لأنَّ القوم الذين قد أغاروا ما لهم متقدِّم تقصدونه وتخاطبونه، وهؤلاء سرايا متفرِّقة وغارات غير متَّفقة»(٧٤).

واستمر ابن طاووس بالكلام عسى أن يجد آذان صاغية مخاطبًا المستنصر: «إذا تركتم الإذن لنا في ذلك فقد حصل لنا أخلاص في النيَّة، فنخاف أن تطلبونا وقت الإذن وما كان عندنا هذا الاخلاص، فلا نوافقكم على الخروج إليهم، فلم يأذنوا في ذلك»(٧٥).

وعندما شعر الخليفة العبَّاسيّ المستنصر بالله بخطر المغول واقترابهم من حدود الخلافة العبَّاسيَّة وممتلكاتها، طلب من السيِّد التدخُّل كوسيط بين الخليفة وخان المغول؛ لما للسيِّد من مكانة علميَّة واجتماعيَّة مقبولة لدى كافَّة طوائف المجتمع البغدادي وطبقاته في تلك المدَّة، لكنَّ السيِّد رفض التكليف مبرِّرًا رفضه بالقول عندما يخاطب ولده قائلًا: «ثمَّ عاد الشيطان لعنه الله وأغراهم بأبيك أن اختار الخليفة المستنصر جزاه الله خير الجزاء أن أكون رسولًا إلى سلطان التتر، فقلت لمن خاطبني في هذه الأشياء ما معناه: أنا إن نجحت ندمتُ، وإن جنحت ندمتُ»(٧٦).

وأضاف مسترسلًا بالكلام: «إنَّ نجاح سعيي يقتضي أنَّكم ما تبغون تعزلوني من الرسالات إلى أن ألحق بالأموات، وتشغلوني عن العبادات وغيرها من المهمَّات. وإن جنح الأمر بين يديّ سقطتُ من عينكم سقوطًا أدَّى إلى كسر حرمتي وفتح باب أذيَّتي، واشتغالي عن دنياي وآخرتي، وقلت له: أبلغ من هذا ممَّا أجراه الله جلَّ جلاله على لسان حال سعادتي»(٧٧).

ومـن الجدير بالذكـر أنَّ معلوماتنا عن رفض السـيِّد للتوسُّـط بـين الجانبين تكاد تكـون مقتضبـة وقليلة، ولم يتحـدَّث عنها ابن طاووس بإسـهاب، فضـلًا عن ذلك لم تسـلَّط الأضواء من قبل المؤرِّخين والباحثين لتلك الحقبة على العلاقة بين أولئك القوم والخلافة العبَّاسـيَّة، وتوضِّح طبيعة العلاقات السياسـيَّة بين الجانبين في فترة حرجة من تاريخ دولة بني العبَّاس.

أمَّـا دور الثـاني لابن طاووس الذي شـارك فيه أهالي بغـداد في محنتهم، وذاق آلام تلك الفتنة المروِّعة، وأهوال ذلك الهجوم البربريّ الكاسر، فسـوف نستعرضه في ضوء الروايـة التي أوردها في كتابـه الكبير والموسـوم بـ(الاقبال بالأعمال الحسـنة فيما يعمل مرَّة في السـنة)، وفي كتابه الموسـوم بـ(سعد السـعود للنفوس)، قائلًا: «اعلم أنَّ في مثل هذا يوم ثامن وعشرين محرَّم، وكان يوم الاثنين سـنة سـتٍّ وخمسـين وستُّمائة فتح ملك الأرض- زيـدت رحمته ومعدلته- ببغداد، وكنـت مقيمًا بها في داري بالمفيديَّة، وظهر في ذلـك تصديق الأخبار النبويَّة ومعجزات باهـرة للنبوَّة المحمَّديَّة، وبتنا في ليلة هائلة من المخاوف الدنيويَّة»[٧٨].

وأضاف السـيِّد مسترسـلًا بالكلام: «فسـلَّمنا الله ﷻ من تلك الأهـوال ولم نزل في حمى السـلامة الإلهيَّـة وتصديق ما عرفناه من الوعود النبويَّة، إلى أن اسـتدعاني ملك الأرض إلى دركاتـه المعظَّمة، جزاه الله بالمجـازاة المكرَّمة في صفر، وولَّاني على العلويِّين والعلـماء والزُّهَّـاد، وصحبت معي نحو ألـف نفس، ومعنا من جانبه مـن حمانا، إلى أن وصلت الحِلَّة ظافرين بالآمال»[٧٩].

وأكمل السـيِّد كلامه: «وقد قرَّرت مع نفسي أنَّني أصـلِّي في كلِّ يومٍ من مثل اليوم المذكور ركعتَي الشـكر للسَّـلامة من ذلك المحذور؛ ولتصديق جدِّنا محمَّد صلوات الله

وسلامه عليه وآله فيما كان أخبر به من متجدِّدات الدهور، وأدعو لملك الأرض بالدعاء المبرور، وفي ذلك اليوم زالت دولة بني العبَّاس كما وصف مولانا عليّ عليه السلام زوالها في الأخبار التي شاعت بين الناس»[٨٠].

ويظهر من الرواية أنَّ السيِّد ابن طاووس التقى هولاكو في هذه المرَّة برغبة من هولاكو نفسه، وقد صحبه في هذا الوفد نحو ألف من الناس بأهليهم وأموالهم، وقد أولاه هولاكو في هذه المقابلة نقابة العلويِّين من خلال قوله: إلى أن استدعاني ملك الأرض إلى دركاته في صفر وولَّاني على العلويِّين والعلماء والزُّهَّاد.

وبعد فتح بغداد في سنة ستٍّ وخمسين وستمائة أمر السلطان هولاكو أن يجتمع بالعلماء ويستفتيهم «أيهما أفضل السلطان الكافر العادل أم السلطان المسلم الجائر؟ ثمَّ جمع العلماء بالمستنصرية لذلك، فلمَّا وقفوا على الفُتيا أحجموا عن الجواب، وكان رضيُّ الدين عليّ ابن طاووس حاضرًا هذا المجلس، وكان مقدَّمًا محترمًا، فلمَّا رأى إحجامهم تناول الفُتيا ووضع خطَّه فيها بتفضيل العادل الكافر على المسلم الجائر، فوضع الناس خطوطهم بعده»[٨١].

الحادثة لم يذكرها سوى ابن الطقطقيّ؛ وسبب عدم ذكرها من قبل المؤرِّخين يعود إلى حسَّاسيَّة المسألة، وتحرُّج المؤرِّخون الذي تحدَّثوا عن الواقعة من جعل السلطان الكافر العادل أفضل من السلطان المسلم الجائر في مجتمع إسلاميّ يدين خليفته بالإسلام، وهو أمر غاية في الخطورة.

إنَّ وضع الناس خطوطهم بعده، يدلُّ على أمرين: أوَّلهما ما لابن طاووس من مكانة علميَّة ساميَّة وثقة كبيرة عند علماء العراق على اختلاف مذاهبهم، وثانيهما يدلُّ على عدم تعصُّب ابن طاووس إلَّا للحقِّ وحده.

وعند النظر للموضوع من زاوية أخرى، يبدو أنَّ ابن طاووس جعل نصب عينيه قاعدة ارتكاب أقلِّ القبيحين وأهون الشَّرَّين، ولا شك إنَّ كفر الكافر عليه- ومن كفر فعليه كفره- وأمَّا عدله فللناس، وأمَّا المسلم الظالم فظلمه لنفسه وللناس، وفي ظلم الناس يختلُّ النظام الاجتماعي؛ لأنَّ العدل أساس المُلك، فقبح واحد، وهو ظلم الكافر لنفسه، أقلُّ من قبيحَين، ظلم النفس وظلم الناس، وشرٌّ واحدٌ أهون من شرَّين[٨٢].

فضلًا عن ذلك فإنَّ السيِّد ربما لم يغب عن باله حديث للإمام الصادق عليه السلام حينما سُئل: أيُّهما شرٌّ أهل الروم أم أهل الشام؟ وفحوى الحديث عن أبي بكر الحضرميّ قال: «قلت لأبي عبد الله: أهل الشام شرٌّ أم الروم؟ فقال: **إنَّ الروم كفروا ولم يعادونا، وإنَّ أهل الشام كفروا وعادونا!**»[٨٣]، فمن الممكن أن السيِّد استند بهذا الحديث مع إمبراطور المغول.

وعلى العموم كان من نتيجة هذه الفُتيا حقن دماء المسلمين، وكان من فوائد ذلك ما أشار إليه بقوله: «ظفرت بالأمان والإحسان، وحقنت فيه دماءنا، وحفظت فيه حرمنا وأطفالنا ونساءنا، وسلم على أيدينا خلق كثير»[٨٤].

ولكي تُقنِع هؤلاء الذين يحلِّقون في عالم النظريَّة، ينبغي أن تحدِّثهم عن شيء من الواقع؛ ليصحِّحوا رؤيتهم! والواقع هنا: أنَّ الدين عندما تستعمله السلطة لمصادرة الحدِّ الأدنى من حقِّ الإنسان في حقِّه في العيش، وحريَّة الاعتقاد والتعبير، فلا يمكنك أن تطلب منه أن يعترف بشرعيَّتها، أو يسكت على اضطهادها له ولا يقاوم؛ فالمشكلة مع سلطة كهذه متقدِّمة رتبة على الدين؛ لأنَّ الدين موضوعه الإنسان، فإذا سُحِق الإنسان فقد سُحِق موضوع الدين!

وفي السنوات الأخيرة من حياته التي ختمها بقبوله منصب نقابة الطالبيِّين الذي

رفضه من قبل ولمرَّات عدَّة، إذ شغل هذا المنصب عام (٦٦١هـ)[٨٥]، وجلس على مرتبة خضراء، وفي ذلك يقول الشاعر عليّ بن حمزة مهنِّئًا:

فهذا عليٌّ نجل موسى بن جعفر ... شبيه عليٍّ نجل موسى بن جعفر
فذاك بدستٍ للإمامة أخضر ... وهذا بدستٍ للنقابة أخضر

لأنَّ المأمون العبَّاسيّ لـمَّا عهد إلى الإمام الرضا عليه السلام ألبسه لباس الخضرة، وأجلسه على وسادتين عظيمتين في الخضرة، وأمر الناس بلبس الخضرة[٨٦]، واستمرت ولاية النقابة إلى حين وفاته، وكانت مدَّتها ثلاثة أعوام وأحد عشر شهرًا[٨٧].

وفاته

توفي رحمه الله في مدينة بغداد يوم الاثنين الخامس من ذي القعدة سنة (٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م)، واختلفت الأقوال في محلِّ دفنه، والأشهر دفنه في الحِلَّة الفيحاء، إذ يوجد مزار معروف له فيها في منطقة باب المشهد، قرب غرفة تجارة الحِلَّة[٨٨]، وهناك من رجَّح قبره في النجف الأشرف؛ لِما ورد عنه في كتابه فلاح السائل وطلبه من الدفَّان أن يحفر له قبرًا عند قَدَمَي والديه رحمهما الله، حيث قال: «وقد كنت مضيت بنفسي وأشرت إلى من حفر لي قبرًا، كما اخترته في جوار جدِّي ومولاي عليّ بن أبي طالب عليه السلام متضيِّفًا ومستجيرًا ووافدًا وسائلًا وآملًا ومتوسِّلًا بكلِّ ما توسَّل به أحد من الخلائق إليه، وجعلته تحت قدَمَي والديَّ رضوان الله جل جلاله عليهما؛ لأنِّي وجدت الله جل جلاله يأمرني بخفض الجناح لهما، ويوصيني بالإحسان، فأردت أن يكون رأسي مهما بقيتُ في القبور تحت قدميهما»[٨٩].

نتائج البحث

توصَّل الباحث إلى جملة من النتائج، منها:

١. تمتع السيِّد ابن طاووس رحمه الله بمكانةٍ علميَّةٍ وفقهيَّةٍ مميَّزةٍ جعلته محطَّ تقدير كثيرٍ من العلماء والفقهاء والمصنِّفين واحترامهم، سواء من الذين عاصروه أو من الذين جاؤوا من بعده، وهو ما نلمسُهُ من كلمات الإطراء والإعجاب التي قيلت بحقِّه.

٢. إنَّ السيِّد عليّ ابن طاووس عالم جليل يختزن في أعماقه كلَّ الصفات الطيِّبة والمثل الحميدة، ويجسِّد في نفسه أعلى مراتب التواضع والأخلاق، لم ينزلق كغيره من الذين انزلقوا وأغوتهم الدنيا، وبقي صامدًا صابرًا محتسبًا في دينه وإيمانه وتقواه ، صافي السلوك واضح المسلك، موازيًا ومتوازنًا، عاملًا من أجل رضا الله تبارك وتعالى، متفانيًا مجاهدًا من أجل مصلحة المسلمين والمؤمنين.

٣. مكانته الاجتماعيَّة في المجتمع البغدادي بكلِّ طوائفه وتوجُّهاته التي أنماز بها السيِّد أبن طاووس والمستمدَّة من نسبه الشريف ومكانته العلميَّة، هي التي جعلت الخليفة العبَّاسيّ المستنصر بالله يصرُّ على إسناد المناصب المهمَّة والحسَّاسة له، على الرغم من أنَّ تاريخ بني العبَّاس تاريخ سادت فيه مضايقة ومصادرة حقوق العلويِّين وذريَّتهم.

٤. كان حبُّ المستنصر كأبيه للعلويِّين، وعطفه عليهم واهتمامه بشؤونهم، هو السبب في هذه العلاقة القويَّة مع السيِّد رضيّ الدين ابن طاووس واستمرارها، وفي الوقت نفسه كان الأخير يقابل الخليفة بنفس الاحترام والتقدير، فكان حين يذكره يقول عنه جزاه الله خير الجزاء، وهذا دليل على الاحترام والتقدير.

٥. من النتائج التي توصَّل اليها الباحث أنَّ السيِّد ابن طاووس حينما سمع باحتلال المغول لإقليم خراسان وتقدُّمهم باتِّجاه بغداد تطوَّع للقاء إمبراطور المغول ليس من أجل المحافظة على عرش العبَّاسيّين، وإنَّما المحافظة على بيضة الإسلام.

٦. إنَّ من النتائج التي توصَّل إليها الباحث حول سؤال هولاكو: «أيُّهما أفضل السلطان الكافر العادل أم السلطان المسلم الجائر؟»، إذ انبرى السيِّد بالإجابة وكان مدركًا كامل الإدراك لما يترتَّب على هذه الإجابة من تفسير وتأويل، لكنَّها كانت مثمرة بثمار مفيدة، منتهية بنتائج نافعة، تركت آثارًا طيِّبة إلى يومنا هذا، محافظًا على حياة الأُلوف من الناس الأبرياء، وجامعًا للكلمة؛ لأنَّه استطاع بهذه الاجابة ترويض هولاكو وإقناعه.

٧. إنَّ قبول السيِّد رضيّ الدين ابن طاووس لمنصب نقيب الطالبيِّين في العهد المغوليّ نابع من خوفه من وقوعهم تحت رحمة المحتلِّ الذي لا يدين بدين الإسلام.

٨. تعدُّ مبادرة السيِّد مجد الدين ابن طاووس بتأليف كتابٍ خاصٍّ أسماه (البشارة)، وأهداه إلى هولاكو، فكان من بركته أن ردَّ هولاكو، وكان له الفضل بسلامة

المشهدين الشريفين للإمامين الكاظمين الجوادين، ومدينتهم: الحِلَّة الفيحاء.

٩. لم يكن علماء الحِلَّة ولا غيرهم من سائر علمائنا العظام من أولئك المساومين النازلين على حكم الأجنبيّ الغادر، لاسيما إذا كان بهذه الدرجة من الوحشيَّة الكاسرة، والبعد عن حمل المظاهر الإنسانيَّة. كلُّ ما في الأمر أنَّهم أرادوا أن يطلبوا الأمان لأنفسهم، ويكونون بعيدين عن الفتك والسفك، حفظًا لحرمهم، وحقنًا لدمائهم، وصونًا لمقدَّساتهم عن التعرُّض والانتهاك.

ومهما كان من أمر، فقد نجحت خطَّة علماء الشيعة في الحدِّ من غزو التتار، وإيقاف الهجوم المغوليّ عند سقوط بغداد، وإنقاذ ما أمكن إنقاذه من دماء المسلمين وأعراضهم وتراثهم وأموالهم، ولو قدِّر للجيش المغوليّ أن يعمل في الإبادة والتخريب والنهب والحرق في سائر مناطق العراق ما صنعه ببغداد؛ لكانت أبعاد الكارثة أعظم ممَّا حصل بكثير، وممَّا يؤسف له أنَّ الذين أرَّخوا هذه المدَّة لم يعرفوا قيمة الدَّور الذي نهض به علماء الشيعة في هذه الكارثة من درءِ الخطر عن وسط العراق وجنوبه.

١٠. من النتائج التي تمَّ التوصُّل إليها أنَّ ما يؤسَف له أنَّ بعض المؤرِّخين من الذين عمت بصيرتهم الأحقاد الطائفيَّة فسَّر تحرُّك علماء الشيعة في تلك المدَّة بهذا الاتِّجاه تفسيرًا سلبيًّا مغاليًا في السلبيَّة، مفرطًا في سوء الظنِّ، وليس يعنينا من أمر هؤلاء شيء، فإنَّ أمثالهم كثيرون من الذين يحاولون أن يعكِّروا الماء ليصيدوا فيه، ولكن الحقيقة التي لا يمكن حجبها بغربال أنَّ علماء الشيعة حدُّوا كثيرًا من ضراوة هذا الغزو، وأنقذوا كثيرًا ممَّا كان لا يمكن إنقاذه لو لا هذا التحرُّك السياسيّ، فقد استطاع هؤلاء العلماء من إنقاذ الكثير من المدن

العراقيَّة من الغزو المغوليّ، كما استطاعوا إنقاذ كثير من علماء بغداد ومدارسها ومكتباتها، وقد سلم بفضل جهود هؤلاء الكثير من التراث والكتب والمكتبات أثناء سقوط بغداد، محطِّمًا مشاريع الاجتياح المغوليّ للمدن المقدَّسة، مبدِّدًا أحلامهم، مُطفأً نار الفتن أينما حلَّت، حتَّى قارَبَ بين القلوب وألَّفَ بين النفوس، وكان ينبض بالحكمة والإلهام، ولن تضرُّه أقوال المتربِّصين وسهام الكذَّابين، وستبقى أعماله وما قام به خالدة كالجبل الأشمِّ، لا تنالها رياح المعتدين.

هوامش البحث

(١) المجلسيّ، العلَّامة محمَّد باقر (ت ١١١١هـ)، بحار الأنوار، ج١٠٧، ط٢، طبع ونشر: مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ، ص١٠٧، حسن عيسى الحكيم، أسرة آل طاووس ومساهمتها في الحركة العلميَّة في الحِلَّة، مجلَّة الجامعة الإسلاميَّة، النجف الأشرف، ٢٠٠٦، ص ٢٤٠-٢٤٢.

(٢) محمَّد هادي الميلانيّ، قادتنا كيف نعرفهم، تحقيق وتعليق: السيِّد محمَّد عليّ الميلانيّ، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ، ج٥، ص٣٠٥.

(٣) الزبيديّ، محمَّد بن محمَّد مرتضى بن عبد الرزاق الحسينيّ، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٤، تحقيق: مجموعة من المحقِّقين، دار الهداية، ٢٠١٠، ص١٨١، الأسترآباديّ، رضي الدين محمَّد بن الحسن (ت ٦٨٦هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ١٣٩٥هـ، ج٣، ص١٠٢.

(٤) الشيخ عبَّاس القمِّيّ، الكنى والألقاب، ج١، المطبعة الحيدريَّة، النجف، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م، ص٣٤١، ابن عنبة، جمال الدين أحمد بن عليّ الحسينيّ (ت ٨٢٨هـ)، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، تحقيق: محمَّد حسن الطالقانيّ، ط٣، المطبعة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ١٣٨٠هـ، ص١٩٠-١٩١.

(٥) المغول: قبائل من الترك البدو كانوا يسكنون الجزء الشرقيّ من بلاد التركستان وما يليها شرقًا من بلاد الصين في العصور الوسطى، سكن قسم منهم جبال طمغاج من الصين، تمكَّنوا بقيادة مؤسِّسهم جنكيزخان من احتلال الدولة الخوارزميَّة والقضاء على قلاع الإسماعيليَّة، والتقدُّم لاحتلال العراق سنة ٦١٨هـ، ومن ثمَّ الوصول إلى بغداد واحتلالها سنة ٦٥٦هـ بقيادة هولاكو ابن جنكيزخان. للمزيد ينظر: ابن الأثير، أبو الحسن عليّ بن محمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانيّ الجزريّ الملقَّب بـ: عزِّ الدين (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ج٩، ص٣٣٠، ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقيّ (ت ٧٣٢هـ)، البداية والنهاية، مكتبة الإيمان، القاهرة د.ت، ج١٣/ ٩٠.

(٦) العامليّ: الشيخ زين الدين بن عليّ بن أحمد (الشهيد الثاني)، الروضة البهيَّة في شرح اللمعة الدمشقيَّة، تصحيح وتعليق: السيِّد محمَّد كلانتر، تقديم: الشيخ محمَّد مهديّ الآصفيّ، طبع مؤسَّسة التاريخ العربيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، ج١، ص٦٨-٧٦.

(٧) هولاكو: وهو أحد أبناء تولى قان بن الملك جنكيزخان ملك التتار ومقدمهم، كان من أعظم ملوك التتر، وكان شجاعًا حازمًا مدبِّرًا، ذا همَّة عالية وسطوة ومهابة ونهضة تامَّة وخبرة بالحروب ومحبَّة للعلوم العقليَّة، كان عارفًا بغوامض الأمور وتدبير الملك، توفِّي سنة ٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م، وخلَّف من الأولاد سبعة عشر ولدًا. الجوينيّ، تاريخ فاتح العالم، ج٢، ت: محمَّد بن عبد الوهاب القزوينيّ، المركز القوميّ للترجمة، القاهرة، ٢٠١٥، ص٣٠، الذهبيّ، شمس الدين محمَّد بن أحمد ابن عثمان ابن قايماز (ت ٧٤٨ هـ)، تاريخ الإسلام، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ج٤٩، ص١٨٠، الصفديّ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفي، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠ م، ج٢٧، ص٢٣٣، الكتبي، محمَّد بن شاكر بن أحمد (ت ٧٦٤هـ)، فوات الوفيات، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠٠٠ م، ج٢، ص٥٨٠.

(٨) المجلسيّ، بحار الأنوار، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ط٤، ١٤٠٤هـ، ج١٠٧، ص٤٤.

(٩) التفريشيّ، مير مصطفى الحسينيّ، نقد الرجال، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، ١٤١٨هـ، مطبعة ستاره، قم، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ص٢٤١.

(١٠) ابن طاووس، رضيّ الدين عليّ بن موسى، الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرَّة في السنة، ج٣، تحقيق: جواد القيوميّ الأصفهانيّ، مكتبة الإعلام الإسلاميّ، قم المقدَّسة ، ١٣٧٧هـ، ابن زهرة، السيِّد تاج الدين بن محمَّد بن حمزة الحسينيّ نقيب حلب (كان حيًّا سنة ٧٥٣هـ)، غاية الإختصار في البيوتات العلويَّة المحفوظة من الغبار، تقديم وتحقيق: العلَّامة السيِّد محمَّد صادق بحر العلوم، منشورات المطبعة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

(١١) المجلسيّ، بحار الأنوار، ج١٠٧، ص٣٧.

(١٢) النمازيّ، عليّ، مستدرك سفينة البحار، قم، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، ١٤١٩هـ، ج١٠، ص٢٨٦، الطباطبائيّ، العلَّامة السيِّد محمَّد حسين، سنن النبيّ صلى الله عليه وآله، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، ص٣٢، القمِّيّ، الكنى والألقاب، ج٢، ص١٩٣، الطهرانيّ، محمَّد حسن المعروف بآغا بزرك الطهرانيّ (ت ١٣٨٩ هـ)، الأنوار الساطعة في المائة السابعة، ط١، بيروت، دار الكتاب العربيّ، ١٩٧٢م، ص١٩٧.

(١٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٠، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ص٣٤٧، الأنصاريّ، مرتضى (ت ١٢٨١ هـ)، رسائل فقهيَّة، قم، مطبعة باقري، ١٤١٤هـ، ج٢٣، ص٣٧٥.

(١٤) ابن طاووس رضيّ الدين أبي القاسم عليّ بن موسى بن جعفر بن محمَّد (ت٦٦٤هـ)، كشف المحجَّة، تحقيق: محمَّد الحسُّون، مكتب الإعلام الإسلاميّ، ط٢، قم، ١٤١٢، ص٢١-٢٢.

(١٥) ابن طاووس، كشف المحجَّة، ص١٢٩-١٣٠.

(١٦) الطهرانيّ، الأنوار الساطعة في المائة السابعة، ص١٩٩.
(١٧) ابن طاووس، كشف المحجَّة، ص١٢٩-١٣٠.
(١٨) الأردكانيّ، محمود البهبهانيّ الحائريّ، أنيس النفوس في تراجم آل طاووس، دار الهدى، قم، ط١، ١٣٨٢هـ.ش، ص١٧.
(١٩) ابن طاووس، كشف المحجَّة، ص١٢٩-١٣٠.
(٢٠) ابن طاووس، كشف المحجَّة، ص١٦٦.
(٢١) ابن طاووس، كشف المحجَّة، ص١١٢-١١٣.
(٢٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٠٤، ص٢٠٨، النوريّ، خاتمة مستدرك الوسائل، ج٢، ص٤٥٩.
(٢٣) النوريّ، خاتمة المستدرك، ج٢، ص٤١٨.
(٢٤) خصباك، جعفر خصباك، العراق في عهد المغول الإيلخانيِّين، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٨م، ص١-٢.
(٢٥) وهو منصب له أهميَّة كبيرة في العصر العبَّاسيّ وما بعده، إذ يلتزم من يتقلَّد رئاسة السادة وعمادتهم في عصره، أن يكون مرجعًا لحلِّ خلافاتهم وفضِّ نزاعاتهم، في حين عرَّفها آخرون على أنَّها صيانة ذوي الأنساب الشريفة عن ولاية من لا يكافئهم في النسب ولا يساويهم في الشرف ليكون عليهم أجلى وأمره فيه أمضى، ويُنتخب لهذا المنصب من هو أكثر أمانة ونزاهة بين السَّادة، ومن هو عالم في القضايا الدينيَّة. للمزيد ينظر: ابن طاووس، الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر، ص٦. وكان الجدُّ الأعلى لابن طاووس وهو أبو عبد الله محمَّد الطاووس أوَّل من ولي النقابة بسورا، كما تولَّاها أخوه أحمد، وتولَّاها ابن أخيه مجد الدين محمَّد بن عزِّ الدين الحسن، فإنَّه خرج إلى السلطان هولاكو، وصنَّف له كتاب البشارة، وسلم الحِلَّة والنيل والمشهدين من القتل والنهب، وردَّ إليه حكم النقابة بالبلاد الفراتيَّة. ابن عنبه، عمدة الطالب، ص١٩٠. كما تولَّاها ابن أخيه الآخر وهو غياث الدين عبد الكريم بن جمال الدين أحمد، وتولَّاها أبو القاسم عليّ بن غياث الدين عبدالكريم. النوريّ، خاتمة مستدرك الوسائل، ج٢، ص٣١٩-٣٢٠. كما تولَّاها حفيد ابن طاووس وهو قوام الدين أحمد، وولده نجم الدين عبد الله، وتولاها في نصيبين من أهل هذا البيت، أبو يعلى محمَّد بن الحسن بن محمَّد بن سليمان بن داود بن الحسن المثنَّى، وكان أديبًا شجاعًا كريمًا فاضلًا. للمزيد ينظر: ابن عنبة، جمال الدين أحمد بن عليّ الحسينيّ (ت ٨٢٨هـ)، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، تحقيق: محمَّد حسن الطالقانيّ، ط٣، المطبعة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ١٣٨٠هـ، ص١٩٠.
(٢٦) البحرانيّ، الشيخ يوسف بن أحمد (ت ١١٨٦هـ)، لؤلؤة البحرين في الإجازات، تحقيق وتعليق: العلَّامة السيِّد محمَّد صادق بحر العلوم، مطبعة النعمان، ط٢، النجف الأشرف، ١٩٦٩م، ص٢٤١.

(٢٧) ابن طاووس، جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ١٤٢٨هـ، ص١٦٩، كشف المحجَّة، ص٢٩، اليقين، تحقيق: مرتضى الأنصاريّ، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، ١٤١٣هـ، ص١٨٤، الميرزا النوريّ، خاتمة المستدرك، ج٣، ص٤٧٢.

(٢٨) ابن طاووس، جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع، ص١٠٩، محمَّد عبَّاس نعمان الجبوريّ، العلَّامة السيِّد أبو القاسم رضيّ الدين عليّ بن موسى بن جعفر الحسنيّ المعروف بابن طاووس (٥٨٩-٦٦٤هـ) ومنهجه في كتاب (سعد السعود للنفوس)، مجلَّة مركز بابل للدراسات الإنسانيَّة، جامعة بابل، العدد الأوَّل، المجلَّد الثاني، حزيران ٢٠١٢، ص٤-٥.

(٢٩) ابن طاووس، سعد السعود للنفوس، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميَّة، ط١، ١٤٢٢هـ، مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميَّة، قسم إحياء التراث الإسلاميّ، ص٢٧.

(٣٠) ابن طاووس، سعد السعود للنفوس، ص٢٧.

(٣١) المجلسيّ، بحار الأنوار، ج١، ص١٣.

(٣٢) الحرّ العامليّ، الشيخ محمَّد بن الحسن، أمل الآمل، ج٢، تحقيق: السيِّد أحمد الحسينيّ، مطبعة الآداب، النجف، ط١، ١٣٨٥هـ، ص٢٠٥.

(٣٣) عبَّاس القمِّيّ، الكنى والألقاب، ج١، ص٣٢٨.

(٣٤) التستريّ، العلَّامة أسد الله بن إسماعيليان الكاظميّ (ت ١٢٣٧هـ)، المقاييس، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، إيران، ص١٦.

(٣٥) المرزا حسين النوريّ، خاتمة المستدرك، ج٣، ص٣٦٧.

(٣٦) ابن طاووس، سعد السعود، ص٥٧-٢١٤.

(٣٧) المجلسيّ، بحار الأنوار، ج١٠٧، ص٤٢.

(٣٨) ابن الطقطقيّ، محمَّد بن عليّ (كان حيًّا سنة ٧٠١هـ/ ١٣٠٩م)، الفخري في الآداب السلطانيَّة والدول الإسلاميَّة، مصر، مطبعة المعارف، ١٩٢٣م، ص٢٣٢.

(٣٩) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٦٥، أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص١٧١.

(٤٠) ينظر: ابن طاووس، اليقين، ص٢٨٠، العلَّامة الحِلِّيّ، كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، تحقيق: عليّ آل كوثر، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميَّة، قم المقدَّسة، ط١، ١٤١٣هـ، الطهرانيّ، الأنوار الساطعة، ص١٧، ١٢٠، نقلًا عن: ورقاء يونس الطائيّ، ابن طاووس (٥٨٩-٦٦٤هـ) عصره، مؤلَّفاته، خزانة كتبه، بغداد، مطبعة المجمع العلميّ العراقيّ، ١٩٥٨م، ص٨٣.

(٤١) جواد وسوسة، بغداد قديمًا وحديثًا، بغداد، مطبعة المجمع العلميّ العراقيّ، ١٩٥٨م، ص١٢٤، ٢٤٣.

(٤٢) ابن طاووس، فرج المهموم، ص١٢٦-١٢٧.

(٤٣) محمَّد حسن آل ياسين، السيِّد عليّ آل طاووس، مجلَّة المجمع العلميّ، مج١٢، ص١٩٦.

(٤٤) ابن طاووس، كشف المحجَّة، ص١٦٧.
(٤٥) ابن طاووس، كشف المحجَّة، ص١٦٧.
(٤٦) الحاقَّة، آية ٤٤-٤٧.
(٤٧) ابن طاووس، كشف المحجَّة، ص١٦٩-١٧٠.
(٤٨) ابن طاووس، كشف المحجَّة، ص١٦٨.
(٤٩) ابن طاووس، كشف المحجَّة، ص١٦٨.
(٥٠) ابن طاووس ، كشف المحجَّة، ص١٦٨.
(٥١) مؤيد الدين محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم الكاتب القمِّيّ الأصل والمولد الإماميّ من ذريَّة المقداد بن الأسود، بغداديّ النشأة والدار، تولَّى الوزارة للناصر ثمَّ للظاهر ثمَّ للمستنصر حتَّى عزله المستنصر وسجنه في باطن دار الخلافة مدَّة وأُخرج مريضًا فمات سنة ٦٢٩هـ. للمزيد ينظر: ابن الطقطقيّ، الفخريّ في الآداب السلطانيَّة، ص٢٣٥-٢٣٧، الصفديّ، الوافي بالوفيات، ج١، ص١٢٨، حسن الأمين، مستدركات أعيان الشيعة، ج١، ص١٩٤.
(٥٢) رضيّ الدين ابن طاووس، كشف المحجَّة، ص١٦٨، رضيّ الدين ابن طاووس، سعد السعود للنفوس، ص٥٠.
(٥٣) رضيّ الدين ابن طاووس، كشف المحجَّة، ص١٦٨.
(٥٤) كشف المحجَّة، ص١١٨.
(٥٥) سعد السعود، ص٥١.
(٥٦) كشف المحجَّة، ص١٦٨.
(٥٧) كشف المحجَّة، ص١٦٩.
(٥٨) رضيّ الدين ابن طاووس، سعد السعود للنفوس، ص٤٩-٥٠.
(٥٩) رضيّ الدين ابن طاووس، كشف المحجَّة، ص١٦٩.
(٦٠) الهمذانيّ، رشيد الدين فضل الله، تاريخ المغول، تحقيق: محمَّد صادق نشأت ومحمَّد موسى هنداوي وفؤاد عبد المعطي الصيَّاد، مجلد٢، ج١، دار أحياء الكتب العربيَّة، القاهرة، د.ت، ص٢٧٢.
(٦١) أبو الفداء، تاريخ أبي الفداء، ج٣، ص١٩٥.
(٦٢) الجميليّ، رشيد عبد الله، حملة هولاكو على بغداد، مجلَّة المورد، مج٨، ع٤، ١٩٧٩، ص٦٢.
(٦٣) العلَّامة الحِلِّيّ، كشف اليقين، ص٧٩.
(٦٤) العلَّامة الحِلِّيّ، كشف اليقين، ص٨٠، للتعرُّف على نصِّ خطبة الزوراء، ينظر: ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمَّد ابي الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربيَّة، بيروت. ١٩٦٠، ٨/ ٢١٥-٢١٦.
(٦٥) العلَّامة الحِلِّيّ، كشف اليقين، ص٨٠.

(٦٦) ابن عنبة، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ص١٩٠-١٩١.
(٦٧) ابن الفوطيّ، الحوادث الجامعة والحوادث النافعة، تحقيق وضبط: بشَّار عوَّاد معروف، عماد عبد السلام رؤوف، المكتبة العلويَّة، قم، شارع التوحيد، ١٣٨٣هـ، ص٣٦٠.
(٦٨) ابن الفوطيّ، الحوادث الجامعة والحوادث النافعة، ص ٣٦٠.
(٦٩) رضيّ الدين بن طاووس، سعد السعود للنفوس، ص٤٦.
(٧٠) سعد السعود للنفوس، ص٤٦.
(٧١) سعد السعود للنفوس، ص٤٦.
(٧٢) سعد السعود للنفوس، ص٤٧.
(٧٣) سعد السعود للنفوس، ص٤٧.
(٧٤) سعد السعود للنفوس، ص٤٧.
(٧٥) سعد السعود للنفوس، ص ٤٧.
(٧٦) ابن طاووس، كشف المحجَّة، ص ١٦٩.
(٧٧) كشف المحجَّة، ص١٧٠.
(٧٨) ابن طاووس، رضي الدين عليّ بن موسى، الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرَّة في السنة، ج٣، تحقيق: جواد القيوميّ الأصفهانيّ، مكتبة الإعلام الإسلاميّ، قم المقدَّسة، ١٣٧٧هـ، ص٩٥، ابن طاووس، سعد السعود للنفوس، ص٤٤.
(٧٩) ابن طاووس، الأقبال بالأعمال، ج٣، ص٩٥.
(٨٠) ابن طاووس، الإقبال بالأعمال، ج٣، ص٩٥.
(٨١) ابن الطقطقيّ، الفخريّ في الآداب السلطانيَّة، ص ٢٣.
(٨٢) كمال الدين، السيِّد هادي السيِّد حمد، فقهاء الفيحاء، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٢م، ص١٤٥-١٤٨.
(٨٣) الكليني، الكافي، مج٢، ص٤١٠.
(٨٤) ابن الطقطقيّ، الفخريّ في الآداب السلطانية، ص١٠.
(٨٥) ابن الفوطيّ، الحوادث الجامعة، ص٣٥.
(٨٦) القمِّيّ، الكنى والألقاب، ج١، ص٣٤٠.
(٨٧) المجلسيّ، بحار الأنوار، مج١٠٤، ص٤٥.
(٨٨) البحرانيّ، لؤلؤة البحرين، ص٢٤١، الميرزا حسين المحدِّث النوريّ (ت١٣٢٠هـ)، خاتمة المستدرك، تحقيق مؤسَّسة أهل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ج٢، مطبعة ستارة، قم، مؤسَّسة أهل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤١٥هـ، ص٤٥٩.
(٨٩) فلاح السائل، ص٧٣-٧٤.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. ابن الأثير، أبو الحسن عليّ بن محمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانيّ الجزريّ الملقَّب بـ: عزّ الدين (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، ج٩، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ط٢، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٢. الأردكانيّ، محمود البهبهانيّ الحائريّ، أنيس النفوس في تراجم آل طاووس، نشر: دار الهدى، قم، ط١، ١٣٨٢هـ.

٣. الأسترآباديّ، رضيّ الدين محمَّد بن الحسن (ت ٦٨٦هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، ج٣، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ.

٤. الأنصاريّ، مرتضى (ت ١٢٨١هـ)، رسائل فقهيَّة، ج٢٣، مطبعة باقري، قم، ١٤١٤هـ.

٥. البحرانيّ، يوسف بن أحمد (ت ١١٨٦هـ)، لؤلؤة البحرين في الإجازات، تحقيق وتعليق: العلَّامة السيِّد محمَّد صادق بحر العلوم، مطبعة النعمان، ط٢، النجف الأشرف، ١٩٦٩م.

٦. التستريّ، العلَّامة أسد الله بن إسماعيليان الكاظميّ (ت ١٢٣٧هـ)، المقايس، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، إيران.

٧. التفريشيّ، مير مصطفى الحسينيّ، نقد الرجال، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، المطبعة ستاره، قم، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤١٨هـ.

٨. جواد وسوسة، بغداد قديمًا وحديثًا، بغداد، مطبعة المجمع العلميّ العراقيّ، ١٩٥٨م.

٩. الجوينيّ، عطا مالك الجوينيّ، تاريخ فاتح العالم، ج٢، تحقيق: محمَّد بن عبد الوهاب القزويني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٥.

١٠. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٨، تحقيق: محمَّد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيَّة، بيروت، ١٩٦٠.

١١. الحرّ العامليّ، الشيخ محمَّد بن الحسن المعروف بـ: الحرِّ العامليّ (ت ١١٠٤هـ)، أمل الآمل، ج٢، تحقيق: السيِّد أحمد الحسينيّ، مطبعة الآداب، النجف، ط١، ١٣٨٥هـ.

١٢. خصباك، جعفر خصباك، العراق في عهد المغول الايلخانيِّين، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٨م.

١٣. الذهبيّ، شمس الدين محمَّد بن أحمد بن عثمان ابن قايماز (ت ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام، دار الكتاب العربيّ، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
١٤. الزبيديّ، محمَّد بن محمَّد مرتضى بن عبد الرزَّاق الحسينيّ، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٤، تحقيق: مجموعة من المحقِّقين، دار الهداية، ٢٠١٠.
١٥. ابن زهرة، السيِّد تاج الدين بن محمَّد بن حمزة الحسينيّ نقيب حلب (كان حيًّا سنة ٧٥٣هـ)، غاية الإختصار في البيوتات العلويَّة المحفوظة من الغبار، تقديم وتحقيق: العلَّامة السيِّد محمَّد صادق بحر العلوم، منشورات المطبعة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.
١٦. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، ج ٢٧، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
١٧. ابن طاووس، السيِّد رضي الدين عليّ بن موسى الحسني (ت٦٦٤هـ):
- الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرَّة في السنة، ج٣، تحقيق: جواد القيّوميّ الأصفهانيّ، مكتبة الإعلام الإسلاميّ، قم المقدَّسة، ١٣٧٧هـ.
- جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ١٤٢٨هـ.
- سعد السعود للنفوس، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميَّة، ط١، ١٤٢٢هـ، مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميَّة، قسم إحياء التراث الإسلاميّ، ١٤٢٢هـ.
- فرج المهموم في معرفة الحلال والحرام من علم النجوم، النجف، المطبعة الحيدريَّة، ١٣٦٨هـ.
- فلاح السائل، تحقيق: غلام حسين المجيديّ، مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامي، قم، ط١، ١٤١٩هـ.
- كشف المحجَّة لثمرة المهجة، تحقيق: الشيخ محمَّد الحسُّون، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلاميّ، ط٢، قم، ايران، ١٤١٧هـ.
- اليقين، تحقيق: مرتضى الأنصاريّ، دار الكتب للطباعة والنشر، قم، ١٤١٣هـ.
١٨. الطباطبائيّ، العلَّامة السيِّد محمَّد حسين (ت ١٤٠٢هـ)، سنن النبيّ صلى الله عليه وآله، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، د.ت.
١٩. ابن الطقطقيّ، محمَّد بن عليّ بن تاج الدين الحسنيّ (كان حيًّا سنة ٧٠١هـ/ ١٣٠٩م)، الفخريّ في الآداب السلطانيَّة والدول الإسلاميَّة، ط١، نشر: الشريف الرضيّ، إيران، ١٤١٤هـ.
٢٠. الطهرانيّ، محمَّد حسن المعروف بآغا بزرك الطهرانيّ (ت ١٣٨٩هـ)، الأنوار الساطعة في المائة السابعة، ط١، بيروت، دار الكتاب العربيّ، ١٩٧٢م.
٢١. العامليّ، الشيخ زين الدين بن عليّ بن أحمد المعروف بـ: الشهيد الثاني (ت ٩٦٥هـ)، الروضة

البهيَّة في شرح اللمعة الدمشقيَّة، ج١، تصحيح وتعليق: السيِّد محمَّد كلانتر، تقديم: الشيخ محمَّد مهدي الآصفيّ، مؤسَّسة التاريخ العربيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان.
٢٢. عبَّاس القمِّيّ، الكنى والألقاب، ج١-٢، المطبعة الحيدريَّة، النجف، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.
٢٣. العلَّامة الحِلِّيّ، الحسن بن يوسف بن عليّ بن المطهَّر (ت ٧٢٦هـ)، كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، تحقيق: عليّ آل كوثر، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميَّة، قم المقدَّسة، ط١، ١٤١٣هـ.
٢٤. ابن عنبة، جمال الدين أحمد بن عليّ الحسينيّ (ت ٨٢٨هـ)، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، تحقيق: محمَّد حسن الطالقانيّ، ط٣، المطبعة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ١٣٨٠هـ.
٢٥. ابن الفوطيّ، أبو الفضل عبد الرزَّاق البغداديّ، الحوادث الجامعة، تقديم: العلَّامة محمَّد رضا الشبيبيّ والدكتور مصطفى جواد، مطبعة الفرات، بغداد، ١٣٥١هـ.
٢٦. الكتبيّ، محمَّد بن شاكر بن أحمد (ت ٧٦٤هـ)، فوات الوفيات، ج٢، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠٠٠م.
٢٧. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقيّ (ت ٧٧٤هـ).
- البداية والنهاية، ج٣، ج١٣، مكتبة الإيمان، القاهرة د.ت.
- تاريخ أبي الفداء، ج٣، المطبعة الحسينيَّة، القاهرة، ١٣٢٥هـ.
- المختصر في أخبار البشر، ج٤، القاهرة، د.ت.

٢٨. كمال الدين، السيِّد هادي حمد (ت ١٩٨٦م)، فقهاء الفيحاء، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٢م.
٢٩. المجلسيّ، العلَّامة محمَّد باقر (ت ١١١١هـ)، بحار الأنوار، ج١، ج١٠٤، ج١٠٧، ط٢، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ.
٣٠. الميلانيّ، محمَّد هادي، قادتنا كيف نعرفهم، ج٥، تحقيق وتعليق: السيِّد محمَّد عليّ الميلانيّ، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ.
٣١. النمازيّ، عليّ، مستدرك سفينة البحار، ج١٠، قم، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، ١٤١٩هـ.
٣٢. النوريّ، حسين (ت ١٣٢٠هـ)، خاتمة المستدرك، ج٢، ج٣، تحقيق ونشر: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مطبعة ستاره، ط١، قم، إيران، ١٤١٦هـ.
٣٣. الهمذانيّ، رشيد الدين فضل الله، تاريخ المغول، تحقيق: محمَّد صادق نشأت ومحمَّد موسى هنداوي وفؤاد عبد المعطي الصيَّاد، ج٢، دار إحياء الكتب العربيَّة، القاهرة، د.ت.

الدوريات و المجلَّات

٣٤. حسن عيسى الحكيم، أسرة آل طاووس ومساهمتها في الحركة العلميَّة في الحِلَّة، مجلَّة الجامعة الإسلاميَّة، النجف الأشرف، ٢٠٠٦.
٣٥. الجميليّ، رشيد عبد الله، حملة هولاكو على بغداد، مجلَّة المورد، مج٨، ع٤، ١٩٧٩.
٣٦. محمَّد عباس نعمان الجبوريّ، العلَّامة السيِّد أبو القاسم رضيّ الدين عليّ بن موسى بن جعفر الحسنيّ المعروف بابن طاووس (٥٨٩-٦٦٤هـ) ومنهجه في كتاب (سعد السعود للنفوس)، مجلَّة مركز بابل للدراسات الإنسانيَّة، جامعة بابل، ع١، مج٢، حزيران، ٢٠١٢.
٣٧. محمَّد حسن آل ياسين، السيِّد عليّ آل طاووس، مجلَّة المجمع العلميّ، مج١٢، ص١٩٦.